التراث العلمي
للشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار
رحمه الله تعالى

سلسلة مؤلفات الشيخ فلاح مندكار رحمه الله تعالى (١)

الاعتقاد الواجب نحو

القدر

الجزء الأول

تأليف فضيلة الشيخ الدكتور
فلاح بن إسماعيل مندكار رحمه الله تعالى

تقديم فضيلة الشيخ
د. محمد محمدي النورستاني

تقديم فضيلة الشيخ
د. محمد هشام طاهري

أعده للنشر
فهد بن سالم بن سعد الطويل

سلسلة مؤلفات الشيخ فلاح مندكار رحمه الله تعالى (١)

الاعتقاد الواجب نحو القدر

الجزء الثاني

تأليف فضيلة الشيخ الدكتور

فلاح بن إسماعيل مندكار رحمه الله تعالى

تقديم فضيلة الشيخ

د. محمد محمدي النورستاني

تقديم فضيلة الشيخ

د. محمد هشام طاهري

أعده للنشر

فهد بن سالم بن سعد الطويل

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة

١٤٤٢ / ٢٠٢١

محفوظة
جميع الحقوق

تمَّ تنسيق هذه المادة ومُراجعتها في

هاتف: ٧٧ ٥٠٣٥٠٠ ٩٦٥+ البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

تقديم فضيلة الشيخ
د. محمد هشام طاهري

الحمدُ للهِ العزيزِ الحكيمِ، أحمَدُهُ سبحانه الخبيرُ العليمُ، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ وسلَّم عليه وعلى آلِه وصحبِه ومَن سار على نهجِه، واقتفى أثرَه، وبعدُ:

فإنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ العِبادَ ليُوَحِّدُوه، ولو أراد أن يُجْبِرَهُم على التَّوحيدِ لأجبرَهم وما استطاعوا أنْ يخالفوه، ولكنْ تَركهم وما يريدون، وخَلَقَهم على ما خَبَرَ أنَّهم عاملون؛ فعَلِم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما الخَلْقُ فاعلون قبل أن يُوجِدَهم، وما الخَلْقُ إليه صائرونَ قبل أن يَصْدروا عنه، وعَلِمَ أنَّ أكثرهم يَضِلُّون، وأنَّ فيهم قلَّةً هم المَرحومون، ولأجْلِهم أَوجدَهم، ولذلك خَلَقَهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود: ١١٨-١١٩]؛ فلولا الأمَّةُ المَرحومةُ في البشريَّةِ، وهي الطَّائفةُ المُسلِمَةُ بين الطَّوائفِ الكافرةِ، ولولا الأمَّةُ المَرحومةُ في هذه الأمَّةِ، وهي الطَّائفةُ النَّاجيةُ بين الطَّوائفِ الضَّالَّةِ؛ لما خَلَقَ اللهُ تعالى الخَلْقَ، وإنَّما خَلَقَهُم لِمَا عَلِمَ مِن إسلامِهم، ولِمَا عَلِمَ مِن اتِّباعهم، واستحقاقِهم لرحمتِه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهؤلاءِ مِن أجْلِهم خَلَقَ اللهُ النَّاسَ على عُجَرِهم وبُجَرِهم.

ومع أنَّ هذه المسألةَ مُبَيَّنةٌ ظاهرةٌ، وفي الآياتِ والنُّصوصِ جليَّةٌ واضحةٌ، إلَّا أنَّ طوائفَ قد ضلَّتْ؛ وصاروا فيها على أنحاءٍ؛ فمنهم مَن اتَّبع إبليسَ، وظنَّ التَّعارُضَ بين القَدَرِ والشَّرعِ والتَّلبيسَ، وهؤلاءِ هم الطَّائفةُ القدريَّةُ الإبليسيَّةُ، ومَن تَبِعَهم مِنَ الفلاسفةِ والمناطقةِ.

ومنهم مَن اتَّبع المشركين في ظنِّهم أنَّ ما هم عليه هو الخيرُ، وأنَّه واقعٌ بمحبَّةِ اللهِ تعالى، فلا بُدَّ وأنْ يكونَ هو البـرَّ، وغَفلوا عنِ الشَّرعِ، وهؤلاءِ هم الطَّائفةُ القدريَّةُ المُشركيَّةُ، وعلى منوالِهم صار المُرجِئَةُ وغلاةُ المتصوِّفةِ.

ومنهم مَن اتَّبع المجوسَ؛ فظنُّوا أنَّ الخيرَ مِنَ اللهِ وبتقديرِه، وأنَّ الشَّرَّ مِن غيرِه وبتصريفه، وبذلك أثبَتوا خالِقَيْنِ؛ خالِقًا للخيرِ، وخالِقًا للشَّرِّ، وهؤلاءِ هم الطَّائفةُ القدريَّةُ المجوسيَّةُ، ومَن سار على نهجِهم مِنَ المُعتزلةِ والقدريَّةِ.

وأمَّا أهلُ الحقِّ، المتَّبعون للرَّسول ﷺ بصدقٍ؛ فإنَّهم يعتقدون: أنَّ اللهَ خالِقُ كلِّ شيءٍ، وأنَّه تعالى عَلِمَ كلَّ شيءٍ، وأنَّه سبحانه قَدَّر مقاديرَ كلِّ شيءٍ، وخَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم، كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[الأعلى: ١-٣] .

وقد قام شيخُنا الجليلُ، ووالدُنا الفَقيدُ، فضيلةُ الشَّيخِ أبي محمدٍ أ. د. فلاح بنِ إسماعيلَ مُندكار رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكتابةِ مُوجَزةٍ مُختصرةٍ، في وُرَيقاتٍ بطريقةٍ سلسةٍ مُيَسَّرةٍ، في بيانِ ما يَجِبُ على كُلِّ مُسلمٍ اعتقادُهُ في باب القَدَرِ، ورسالتُه -التي طُبعتْ في حياتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثُمَّ رَغِبَ الإخوةُ بإعادةِ طباعتِها بعد مماتِه، أسكنه اللهُ الفردوسَ الأعلى- رسالةٌ بليغةٌ جامعةٌ للآثارِ، مُدلَّلَةُ الأخبارِ، مُبَيَّنةٌ للأخيارِ، مُذَكِّرَةٌ للأبرارِ، وسمَّاها:

(**الاعتقادُ الواجبُ نحوَ القَدَرِ**)؛ فجزاه اللهُ عنَّا وعن المسلمين خيرَ الجزاءِ، وأثابه اللهُ تعالىٰ جزيلَ الثَّوابِ، وجَعَلَهُ عنده في عِلِّيِّين، وهو الكريمُ الوهابُ.

وشَكَرَ اللهُ مَن طَبَعَ الكتابَ، أو قَرَأَهُ، أو نَشَرَهُ، أو درَسَه، أو درَّسَه، وصلِّ اللهمَّ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

كتبه

د. محمد هشام طاهري

٤/ جمادىٰ الآخر/ ١٤٤٢، الموافق/ ١٧/ ٠١/ ٢٠٢١م

تقديم فضيلة الشيخ
د. محمد محمدي النورستاني

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وليُّ الصالحين، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحابتِه، ومَن استنَّ بسنَّتِه واهتدىٰ بهديه إلىٰ يومِ الدِّينِ، أمَّا بعدُ:

فقد سعدتُ بقراءةِ رسالةِ «**الاعتقاد الواجب نحوَ القدَر**» لشيخِنا الكريمِ الدكتورِ فلاحِ بنِ إسماعيلَ مُندكار -رحمه اللهُ تعالىٰ رحمةً واسعةً، وأجزلَ له المثوبةَ، وأعلىٰ درجتَه في علِّيين- فوجدتُها رسالةً مختصَرةً في موضوعٍ مُهمٍّ، وافيةً بالمقصودِ في الجوانبِ التي تطرَّقَ لها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مُشتمِلةً علىٰ زُبدةِ ما يجبُ علىٰ العبدِ اعتقادُهُ في هذا البابِ العظيمِ، الذي هو ركنٌ مِن أركانِ الإيمانِ.

وقد استفتَحها شيخُنا ببيانِ أهمِّيَّةِ هذا البابِ، وبيانِ منزلتِه في الإيمانِ والتوحيدِ عُمومًا، وفي توحيدِ الأسماءِ والصِّفاتِ خُصوصًا، ثُمَّ تطرَّقَ إلىٰ ما حصلَ فيه مِنَ الخِلافِ، مشيرًا إلىٰ الأسبابِ والعواملِ التي أدَّت إليه، مُنبِّهًا إلىٰ طرفي الضَّلالِ فيه، وأنَّ ذلك كلَّه استدعىٰ منه المشاركة في الموضوعِ بالكتابةِ.

ثُمَّ أشارَ إلىٰ محتوىٰ الرسالةِ، وأنَّ فيها بيانَ الحقِّ في هذا البابِ، واستعراضًا لأقوالِ المُخالفين، ثُمَّ تعزيزًا للمذهبِ الحقِّ بذكرِ آثارِ السَّلفِ الكرامِ؛ مِنَ الصَّحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ.

وقد جاءتِ الرسالةُ مرتبةً ترتيبًا حسنًا؛ بدأتْ بالتأصيلِ، ولم تُغفِل استعراضَ أقوالِ المخالفين، مع الإشارةِ إلى أسبابِ ضلالِهم، وركَّزَتْ على ذكرِ أقوالِ السَّلفِ؛ لبيان بُعدِ المخالفين عن منهج الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ مِنَ التابعينَ وتابعيهم مِنْ أئمةِ الدِّينِ، وأنَّهم لا يُمثِّلون الحقَّ في هذا البابِ، وأنَّ أهلَ السُّنةِ والجماعةِ أسعدُ النَّاسِ بالحقِّ؛ لاعتصامِهم بالكتابِ والسُّنةِ.

وقد ذكرَ شيخُنا آثارَ السلفِ الكرام مجموعةً في مكانٍ واحدٍ؛ ليسهُلَ الاسترشادُ بها، ولكن يُلاحَظُ: أنَّ مَن كفَّرَ القدَريَّةَ مِنَ السَّلفِ: فهو يُريدُ القدريَّةَ الأوائلَ، الذين يُنازعُون في مرتبَتي: العلمِ، والكتابةِ، دون القدريَّةِ المتأخرين، وهمُ المعتزلةُ الذين يُنازِعُونَ أهلَ السُّنةِ والجماعةِ في مرتبَتَيْ: المشيئةِ والخَلْقِ، وقد بيَّنَ شيخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الاختلافَ عند القدريَّةِ ضِمْنَ حديثِه عنِ المُخالفين.

وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يتغمَّدَ الشيخَ الكريمَ بواسعِ رحمتِه، وأنْ يتقبَّلَ جُهدَه في نشرِ السُّنَّةِ بالوسائلِ المتاحةِ، وحرصَه على نشرِ العقيدةِ السَّلفيَّةِ، وذودَه عن حياضِها، وأنْ يشكرَ القائمينَ على نشرِ تراثِه خيرَ الجزاءِ وأوفرَه.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحابتِه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

كتبه

د. محمد محمدي النورستاني

٢٦/ جمادى الآخر/ ١٤٤٢هـ الموافق/ ٨/ ٢/ ٢٠٢١م

ترجمةُ المؤلِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أولًا: اسمه وكنيته:

هو أبو محمدٍ فلاحُ بنُ إسماعيلَ بنِ أحمدَ مُندكار.

مولده: وُلِدَ في الكويتِ، يوم السبت ٢/ صفر/ ١٣٧٠ هـ، الموافق ٢/ ١٢/ ١٩٥٠م.

ثانيًا: طلبه للعلم:

بدأ الشيخ فلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطلب العلم الشرعي وعمره ست وعشرون سنة، ورحل إلىٰ أهل العلم للأخذ عنهم في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية والمسجد النبوي في عام ١٩٧٦م، ولازم العلماءَ خلال دراسته للمرحلة الجامعية والدراسات العُليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراة، فدرس عليهم في علوم شتىٰ وفنون متنوعة كالعقيدة، والحديث، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والقواعد الفقهية، والنحو، والصرف، والبلاغة، والتجويد.

ثالثًا: مؤهلاته العلمية:

نال الشيخُ شهادات عدة، وهي:

١- دبلوم معهد المعلمين، في تخصص اللغة الإنجليزية.

٢ - شهادة البكالوريوس من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، وقد حصل فيها علىٰ درجة الامتياز.

٣- شهادة الماجستير من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية ، ونال فيها درجة الامتياز، وكانت رسالته في تحقيق ثلاث من شعب الإيمان للحافظ البيهقي.

٤- شهادة الدكتوراة من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، وقد حاز على درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وقد كانت الرسالة بعنوان: (**العلاقة بين التصوُّف والتشيُّع**).

رابعًا: مشايخه في العلم الشرعي:

درس الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عدد كبير من أهل العلم والفضل، ومنهم:

١- الشيخ العلامة: عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حضر له الكثير من المجالس العلمية، وقرأ عليه ثلاثة الأصول وكتاب التوحيد.

٢-الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حضر له الكثير من المجالس العلمية.

٣- الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حضر له الكثير من المجالس العلمية، ودرس عليه بعض الأبواب في الفقه.

٤- الشيخ العلامة: صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله، وقد حضر له الكثير من المجالس العلمية.

٥- الشيخ: عبد القادر بن حبيب الله السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه نخبة الفكر للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- الشيخ المحدث: حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد لازمه الشيخ فلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ واستفاد منه كثيرًا، وقرأ عليه كتبًا عدة، ومنها: صحيح البخاري، والإبانة لابن بطة،

والنبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، وبلوغ المرام لابن حجر، ودرس عليه في الدراسات العليا.

٧- الشيخ العلامة: محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أخذ عنه الشيخ علمًا كثيرًا، واستفاد منه فائدة عظيمة، وقرأ عليه كتبًا عدة في العقيدة، ومنها: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، والواسطية لابن تيمية، وكتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، و القواعد المثلى لابن عثيمين.

ودرس عليه أيضًا جوهرة التوحيد في العقيدة الأشعرية، وقد درس الشيخ فلاح على الشيخ محمد أمان الجامي في الدراسات العليا، وكان مشرفًا على رسالته في الماجستير، والدكتوراة.

٨- الشيخ: عبدالكريم بن مراد الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد درس عليه كتبًا تأصيلية في علم العقيدة فدرس عليه الحموية، والتدمرية، وشرح الطحاوية لابن أبي العز، ودرس عليه كذلك علم المنطق .

٩- الشيخ المحدث: عبد المحسن العباد حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه كتاب الشريعة للآجري، وشفاء العليل لابن القيم.

١٠-الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه شيئًا من صحيح مسلم، وتدريب الراوي للسيوطي، والعبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١١- الشيخ: علي بن ناصر الفقيهي حفظه الله، وقد قرأ عليه كتاب التوحيد، وكتاب الإيمان كلاهما للحافظ ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢ -الشيخ الفَرضي: عبد الصمد بن محمد الكاتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه كتاب التوحيد من صحيح البخاري، كما قرأ عليه علم الفرائض.

١٣- الشيخ: عبيد الجابري حَفِظَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والقواعد المثلى، والقواعد الفقهية.

١٤- الشيخ: عبد الله الغنيمان حَفِظَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه فتح المجيد، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ، والشيخ عبد الله الغنيمان حَفِظَهُ اللَّهُ هو الذي تولى الإشراف عليه في رسالة الدكتوراة بعد تقاعد الشيخ محمد أمان الجامي.

١٥- الشيخ: محمد بن المختار الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أخذ عنه التفسير، وقرأ عليه سنن النسائي .

١٦- الشيخ الدكتور: علي الحذيفي حَفِظَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه كتاب التوحيد من صحيح البخاري .

١٧- الشيخ: أحمد بن تاويت الطنجي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من علماء المغرب، وقد أخذ عنه التفسير في الجامعة الإسلامية، وقرأ عليه في أصول الفقه روضة الناظر لابن قدامة، وقرأ عليه في النحو شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل.

١٨- الشيخ علي بن سنان رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه في النحو قطر الندى لابن هشام.

١٩- الشيخ أحمد بن معلوم الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أحد علماء اللغة في المدينة النبوية، وقد قرأ عليه في النحو المقدمة الآجرومية، وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل.

٢٠- الشيخ: زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه روضة الناظر لابن قدامة في أصول الفقه.

٢١- الشيخ: عبد الله بن حمد الحماد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه سبل السلام للصنعاني.

٢٢- الشيخ: محمد بن حمود الوائلي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قرأ عليه بداية المجتهد لابن رشد.

٢٣- الشيخ: عبد الرؤوف اللبدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل.

٢٤- الشيخ: عمر بن محمد فلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه سنن أبي داود في الحرم المدني.

٢٥- الشيخ المفسر: أبو بكر بن جابر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أخذ عنه علم التفسير.

٢٦- الشيخ: أحمد الأزرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قرأ عليه سبل السلام ، وأشرف عليه في بحث التخرج، وعنوانه: «تحقيق كتاب مسند عبد الله بن المبارك».

٢٧-الشيخ: علي بن مشرف العمري حفظه الله، وقد قرأ عليه سنن الترمذي.

٢٨- الشيخ: محمد بن رمضان المقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أخذ عنه علم التجويد.

خامسًا: ذكر بعض طلاب الشيخ:

للشيخ فلاح مندكار طلابٌ كثر في المساجد والجامعة، ومن أبرزهم:

١-الشيخ الدكتور: حمد بن محمد الهاجري.

٢- الشيخ الدكتور: محمد هشام طاهري.

٣-الشيخ: سعد بن راشد الفضلي.

٤- الشيخ الدكتور: دهام الفضلي.

٥- الشيخ: شَيبان بن شيبان الهاجري.

٦-الشيخ الدكتور: دغش بن شبيب العجمي.

٧- الشيخ الدكتور: أحمد بن مهنا العازمي.

٨- الشيخ: عادل بن محمد بن مطارد العجمي.

٩- الشيخ الدكتور: مسلط بن عبد الله الهاجري.

١٠- الشيخ: مبارك بن عبد الهادي الهاجري.

وغيرهم كثيرٌ ممَّن دَرسَ على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المساجد والجامعة من طلاب العلم في الكويت وخارجها.

سادسًا: ذكر جملةٍ من أخلاقِه:

تميز الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالخُلق الحسن، والأدب في التعامل، والحرص على الإفادة والاستفادة، والتواضع مع طلابه وإخوانه، والسعي في قضاء حوائجهم، وكان وفيًّا لمشايخه وأصحابه، حريصًا على صلةِ الأرحامِ، كريمًا يبذل مالَه للأنام، من أوسع الناس صدرًا، وأطيبهم قلبًا، وأحسنهم عِشرةً، و كان شديد الغَيرة لدين الله وعقيدة أهل السنة والجماعة، فحظي عند أهل العلم وطلابه بالمكانة الرفيعة، والتقدير، والاحترام.

سابعًا: جهوده العلمية والدعوية:

للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جهود علمية ودعوية، فقد شارك في كثير من الدورات العلمية، والأنشطة الدعوية في الكويت وخارجها.

* ومن أعمال الشيخ العلمية: المشاركة في وضع مناهج العقيدة في مقررات التربية الإسلامية في وزارة التربية في دولة الكويت.

* كان عضوًا في لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

وقد اعتنى شيخُنا عناية عظيمة بالتوحيد عِلمًا وتعليمًا ونشرًا وتطبيقًا، وهذا واضحٌ جليٌّ من خلال ما درَّسه من الكتب والمتون، وما خطَّه بنانُه من مؤلفات نافعة ورسائل مفيدة ماتعة.

ومن الكتب والمتون التي درَّسها فضيلة الشيخ:

١-ثلاثة أصول للشيخ: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢-كشف الشبهات للشيخ: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣-الأصول الستة للشيخ: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤-فتح المجيد للشيخ: عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥-شرح العقيدة الواسطية للشيخ: صالح الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

٦-الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- شرح السُّنَّة للبربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩-الشريعة للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠-العدة شرح العمدة لبهاء الدين عبد الرحمن المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١-الأربعون النووية للحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢- كتاب التوحيد من صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ العلامة: صالح الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

١٤- القواعد المثلى للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وغيرها من الكتب النافعة التي تعتني ببيان العقيدة وَفق منهج أهل السُّنة والجماعة.

ثامنًا: منهجه في التدريس:

بدأ الشيخُ تدريس العلم الشَّرعيِّ في منتصف الثمانينات بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية، وقد درَّس الفقهَ في دار القرآن في منطقة الفحيحيل، و بعد ذلك عاد للمدينة النبوية لاستكمال الدراسات العُليا ثم عاد للتدريس عام ١٩٩٢م، وكان يزور الكويت خلال دراسته في الدراسات العُليا في العُطل، ويُدرِّس طلاب العلم في فنون شتىٰ، وعلوم مختلفة كالعقيدة والفقه، وقد عُينَ الشيخ مُدرسًا للعقيدة في كلية الشريعة في جامعة الكويت.

وقد تميز الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأسلوب فريد في التدريس، ومن أهم ما تميز به:

* الحثُّ علىٰ التمسُّكِ بالكتاب والسُّنة علىٰ فهم سلف الأمةِ.

* تحقيق المسائل العلمية في باب الاعتقاد بذكر أقوال السلف والمحققين في هذه المسائل.

* ذكر أقوال الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد، والرد عليها من الكتاب والسنة، ولغة العرب، وأقوال السلف.

* ذكر أقوال الفقهاء والمحدثين والمحققين من أهل العلم ومذاهبهم في شرحه للمسائل الفقهية، والتدليل علىٰ مذاهبهم من الكتاب والسنة، ثم المقارنة والترجيح بين أقوال الفقهاء، مع ترك التقليد للأقوال المخالفة للسُّنة.

* الحرص علىٰ شرح الكتاب وضبط المتن، والعناية بإفهام الطلاب واستعمال طريقة السؤال والجواب توضيحًا للمسائل وبيانًا لها.

تاسعًا: مؤلفاته ورسائله المطبوعة:

١- العلاقة بين التصوف والتشيع (رسالة الدكتوراة).

٢- تحقيق ثلاث من شعب الإيمان (رسالة الماجستير).

٣- شرح أصول السنة للإمام أحمد ابن حنبل.

٤- ماذا يعنون بالجامية والمدخلية؟

٥- شرح الأصول الستة للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- فضائل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

٧- اسمعوا وأطيعوا.

٨- نزعة التكفير، خطورتها وعلاجها.

٩- الرقى الشرعية بين التنزيل والتطبيق.

١٠- الاعتقاد الواجب نحو الصحابة.

١١- الاعتقاد الواجب نحو القدر.

١٢- همسة في أذن عاق.

١٣- الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة.

عاشرًا: وفاته:

تُوفي الشيخ فلاح مندكار رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الأربعاء ٢١/ ربيع الأول/ ١٤٤٢ هجرية الموافق ٢١/ ١٠/ ٢٠٢٠م، وقد شَيعت جنازته جموعٌ غفيرة، عن عمر ناهز سبعين عامًا، فرحم اللهُ شيخَنا الجليل الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار، وغفر له ولوالديه وجمعنا الله به فيفردوس الجنة الأعلى.

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ خَلْقِ اللهِ، وعلى آلِه وأصحابِه، وورثةِ علمِه الذين آمنوا بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه، حُلْوه ومُرِّه مِنَ اللهِ تعالى وحدَه.

أما بَعْـد:

فإنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ مِن أهمِّ ما يَجِبُ على مُريدِ الحقِّ وطالبِ النَّجاةِ معرفتُه؛ فإنَّه رأسُ الأمرِ، وعليه قُطبُ رَحى[1] التوحيدِ، والإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ، كيف لا وهو أحدُ أركانِ الإيمانِ، وذو أهميَّةٍ عظيمةٍ بين الأركانِ، ومنزلةٍ رفيعةٍ؛ لارتباطِه بالإيمانِ باللهِ تعالى.

والكلامُ فيه موقوفٌ على ما جاء في بابِ الأسماءِ والصِّفاتِ، وما يتعلَّق بفعلِه، وخَلْقِه، وإرادتِه ومشيئتِه، وسابقِ علمِه عَزَّوَجَلَّ.

وإنَّ ممَّا جاء في بابِ صفاتِ الباري سبحانه: العِلْمُ، والإرادةُ، والمشيئةُ، والقُدْرَةُ، والخَلْقُ، وممَّا جاء في فِعْلِهِ وأمْرِه: الكتابةُ، والأمرُ بها، ولا شكَّ ولا ريبَ أنَّ مدارَ الإيمانِ بالقَدَرِ إنَّما يُبنى على هذه الصفاتِ والأفعالِ.

وإنَّ مسائلَ الإيمانِ بالقَدَرِ كانتْ محلَّ خلافٍ ونزاعٍ منذُ أواخرِ الصَّدرِ الأوَّلِ،

---

(١) **القُطْبُ لغةً**: ما عليه مدارُ الشَّيء، ومنه قُطبُ الرَّحى وهي الحديدةُ القائمةُ التي تَدورُ عليها الرَّحى. [انظر لسان العرب١/ ٦٨٢].

ولا يزالُ إلىٰ يومِنا هذا، والناسُ فيه بين الإفراطِ والتفريطِ، وبين الغُلُوِّ والجفاءِ، الأمرُ الذي يُوجِبُ الاعتناءَ بهذا الرُّكنِ وضبطَه وتحريرَه؛ ليكونَ موافقًا لِمَا جاء عنِ اللهِ تعالىٰ وعن رسولِه ﷺ؛ لأنَّه مِن أبوابِ الغيبِ الذي لا يُدرَكُ بعقلٍ ولا قياسٍ، ولا تَخضعُ فيه المسائلُ إلىٰ الموازينِ الحسيَّةِ ولا العقليَّةِ.

ويرىٰ النَّاظرُ في أقوالِ الناسِ ومذاهبِهم في هذا البابِ ممَّن خاضوا فيما جاءهم به الأمرُ بالوقوفِ عنده، ودخلوا فيما نُهوا عنه، ولم يَقفوا حيث وَقَفَ الرجالُ الأوائلُ مِن هذه الأُمَّةِ، ولم يسكتوا عمَّا سكتوا عنه، ولم يسَعْهُم في دينِ اللهِ تعالىٰ ما وَسِعَ أولئك الأوائلَ المتَّبعين لسُنَنِ المرسَلين، فرأيناهم قد ضلُّوا ضلالًا عظيمًا فأثبتوا في مُلْكِ الله ما لا يشاءُ، وفي مشيئتِه ما لا يكونُ، ونَفَوا تقديرَ اللهِ تعالىٰ، ثُمَّ سمَّوا نفيَهم عدلًا، ثُمَّ توسَّعوا في النَّفي حتَّىٰ جاؤوا علىٰ صفاتِ الربِّ تعالىٰ، وعلىٰ حقائقِ أسمائِه ﷻ بما زعموه توحيدًا وتنزيهًا، وهكذا البدعةُ لا تَقِفُ بصاحبِها حتَّىٰ تُورِدَه الهلاكَ.

ويرىٰ النَّاظرُ أيضًا مَنْ يقابِلُ هؤلاءِ ممَّن يزعمون الإيمانَ بإثباتِ قَدَرِ اللهِ تعالىٰ، فأضافوا إلىٰ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أفعالَ وذنوبَ العِباد؛ تبرئةً للخلائقِ مِن الذُّنوبِ والقبائحِ، ظانِّين بذلك باللهِ ﷻ أسوأَ الظُّنونِ مع نسبةِ القُبْحِ والنَّقْصِ والعَيْبِ والظُّلْمِ له، تعالىٰ وتقدَّس عن قولِهم علوًّا كبيرًا.

لهذا أحببتُ أنْ أُسْهِمَ بهذه الكلماتِ في هذا الموضوعِ العظيمِ، وهذا العددِ الكبيرِ مِنَ المخالفين الزَّائغين؛ بيانًا للحقِّ والصَّوابِ في بابِ الاعتقادِ، وبراءةً مِن أهلِ البدعِ والأهواءِ، ونُصحًا لدين اللهِ تعالىٰ ولكتابِه ولرسولِه ﷺ ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم، ثمَّ تحقيقًا لجانبِ التوحيدِ الذي هو عِلَّةُ الخَلْقِ والأمرِ والنَّهيِ،

حيث إنَّ سلامةَ التوحيدِ مِن نواقِصه يقتضي سلامةَ الإيمانِ وصحةَ الاعتقادِ في القضاءِ والقَدَر[١]، ولا يَتِمُّ الإيمانُ والإسلامُ إلا بالإيمانِ بالقَدَرِ حُلْوِهِ ومُرِّهِ، خيرِهِ وشرِّهِ مِنَ الله تعالىٰ.

هذا، وقد سميتُ هذا البحثَ (**الاعتقاد الواجب نحوَ القَدَرِ**) مبيِّنًا فيه:

- مادَّةَ (القَدَرِ) وتعريفَه، ثُمَّ مراتبَه التي تُبنىٰ عليه.
- ثمَّ المذهبَ الحقَّ الذي يَجِبُ اعتقادُه والجزمُ به.
- ثمَّ بيانَ أقوالِ مَنْ خُولِفَ بهم عن صراطِ اللهِ تعالىٰ ومنهاجِ النُّبوَّةِ ومماثلةِ الصَّحابةِ الكرامِ، مُوضِّحًا جوانبَ الإساءةِ عندهم، ومنوِّهًا بما أَحسنوا فيه، وما أرادوا مِنَ الخيرِ، ولكن كما قِيلَ قديمًا: «كم مِنْ مريدٍ للخيرِ لا يدركُه»[٢].

-ثمَّ نقلتُ أقوالَ السَّلفِ الكِرامِ مِنَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ مَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وصِدْقٍ وإتقانٍ؛ لبيانِ أنَّ الدِّينَ إنَّما هو بالاتِّباعِ والاقتداءِ، لا بالابتداعِ والابتداءِ، وخاصَّةً ما يتعلَّقُ بالغيبِ والإيمانِ ومسائلِ الاعتقادِ.

هذا واللهَ تعالىٰ أسألُ أنْ يرزقني حُسْنَ القولِ، وحسنَ الاعتقادِ، وحُسْنَ العِلْمِ، وحسنَ الاتِّباعِ، إنَّه تعالىٰ وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارك علىٰ سيِّدنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وأصحابِه الأطهارِ، ومَن تَبعهم بإحسانٍ.

---

(١) قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقضاءُ والقَدَرُ أمران متلازمان لا ينفكُّ أحدُهما عنِ الآخَرِ؛ لأنَّ أحدَهما بمنزلةِ الأساسِ وهو القَدَرُ، والآخَرُ بمنزلةِ البناءِ وهو القضاءُ، فمَنْ رام الفصلَ بينهما، فقد رام هدمَ البناءِ ونقضَه». [النهاية لابن الأثير ٤/ ٧٨].

(٢) وقد ثبتَ عن الصحابيِّ الجليل عبدِ الله بنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «وكم مِنْ مُريدٍ للخيرِ لن يصيبَه» أخرجه الدارمي في سننه رقم: (٢١٠)، وصحح إسنادَه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٠٠٥).

الاعتقادُ الواجبُ نحوَ القَدَرِ

❁ القَدَرُ لغةً:

القَدَرُ بفتحِ الدَّالِ وإسكانِها، أي: مَبْلَغُ الشَّيءِ وكنهُهُ.

قال صاحبُ مُجملِ اللُّغة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«القَدْرُ: مَبْلَغُ الشَّيءِ، وكذلك القَدَرُ»(١).

وقال في معجم مقاييس اللغة: «القافُ والدَّالُ والرَّاءُ: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مَبْلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِهِ ونهايتِه»(٢).

وقال: «والقَدْرُ: قضاءُ اللهِ تعالى الأشياءَ على مبالِغها ونهاياتِها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضًا»(٣).

وذكر ابنُ منظورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اللِّحيانيِّ قال: «القَدَرُ: الاسم، والقَدْرُ: المَصْدَرُ»(٤).

❁القَدَرُ شرعًا:

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعناه أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدَّرَ الأشياءَ في القِدَمِ، وعَلِمَ

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس (١/ ٧٤٥).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٢).

* القضاءُ والقَدَرُ متباينان إنِ اجتمعا، ومترادفان إنْ تفرقا، فإذا قِيلَ: هذا قَدَرُ اللهِ؛ فهو شاملٌ للقضاءِ، أمَّا إذا ذُكِرا جميعًا؛ فلكلِّ واحدٍ منهما معنى. [انظر شرح الواسطية لابن عثيمين ٢/ ١٨٧].

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٦٢).

(٤) لسان العرب (٥/ ٧٤).

أَنَّها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ صفاتٍ مخصوصةٍ، فهي تقعُ علىٰ حَسبِ ما قدَّرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[1].

وقال الإمامُ الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«قد يَحْسبُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ أنَّ معنىٰ القَدَرِ مِنَ اللهِ والقضاءِ منه معنىٰ الإجبارِ والقهرِ للعبدِ علىٰ ما قضاه وقدَّره...وليس الأمرُ في ذلك علىٰ ما يتوهَّمونه، وإنَّما معناه: الإخبارُ عن تقدُّمِ عِلْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يكونُ مِنْ أفعالِ العِبادِ وأكسابِهم، وصدورِها عن تقديرٍ منه، وخَلْقٍ لها خيرِها وشرِّها»[2].

وقال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمرادُ أنَّ اللهَ تعالىٰ عَلِمَ مقاديرَ الأشياءِ وأزمانَها قبل إيجادِها، ثُمَّ أَوجد ما سَبق في علمِه أَنَّه يُوجَدُ، فكلُّ مُحدَثٍ صادرٌ عن علمِه وقدرتِه وإرادتِه، هذا هو المعلومُ مِن الدِّين بالبراهينِ القطعيَّةِ، وعليه كان السَّلفُ مِنَ الصَّحابةِ وخيارِ التَّابعين، إلىٰ أنْ حدثتْ بدعةُ القَدَرِ في أواخِرِ زمنِ الصَّحابةِ»[3].

لذلك؛ قَرَّر علماءُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه حُلْوِهِ ومُرِّهِ، وأنَّ ما شاء اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، لا يتحقَّقُ إلَّا بالإيمانِ بمراتبِ القضاءِ والقَدَرِ، وهي أربعٌ[4]:

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١/ ١٥٤).

(٢) معالم السنن (٤/ ٣٢٢).

(٣) فتح الباري (١/ ١١٨).

(٤) قال الإمام أحمدُ ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع سبعون رجلًا مِنَ التَّابعين وأئمةِ المسلمين وفُقهاءِ الأمصارِ علىٰ أنَّ السُّنَّةَ التي تُوفي عليها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أولها الرِّضا بقضاءِ اللهِ والتسليمُ لأمرِه، والصبرُ تحت حُكْمِه، والأخذُ بما أَمر اللهُ به، والنَّهيُ عما نهىٰ عنه؛ وإخلاصُ العملِ للهِ، والإيمانُ بالقدر خيرِه وشرِّه، وتركُ المِراءِ والجدلِ والخصوماتِ في الدِّينِ**». [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٢٤٠].

❁ المرتبةُ الأُولىٰ: الإيمانُ بعِلْمِ اللهِ تعالىٰ السَّابقِ.

أي: الاعتقادُ الجازمُ بعلمِ اللهِ تعالىٰ وسَعتِه وإحاطتِه بكلِّ شيءٍ، فهو سبحانه عَلِمَ ما كان، وما يكونُ، وما لم يَكُنْ لو كان كيف يكونُ، وعَلِمَ أعمالَ الخَلْقِ مِنْ خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ ومعصيةٍ، وعَلِمَ أحوالَهم، وأرزاقَهم، وحركاتِهم وسكناتِهم، وآجالَهم، وشقيَّهم وسعيدَهم، وما لهم في البرزخِ، وبعد البعثِ والنُّشورِ، كلُّ ذلك بعلمِه القديمِ المُتَّصِفِ به أزلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالىٰ عَلِمَ ما الخلقُ عاملونَ بعلمِه القديمِ الذي هو موصوفٌ به أزلًا وأبدًا، وعَلِمَ بجميعِ أحوالِهم مِنَ الطَّاعاتِ والمعاصي والأرزاقِ والآجالِ»(١).

وقال عثمانُ بنُ سعيدٍ الدَّارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلموا أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يزلْ عالمًا بالخَلْقِ وأعمالِهم قبل أنْ يخلقَهم، ولا يزالُ بهم عالمًا، لم يزددْ في عِلمِه بكينونةِ الخَلْقِ خردلةً واحدةً»(٢).

ومِنَ الأدلَّةِ علىٰ هذه المرتبةِ:

= وقد جُمِعتْ مراتبُ القَدَرِ الأربع في هذا البيت:

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُه وخَلقُه وهو إيجادٌ وتكوين

(١) العقيدة الواسطية ص(١٠٧).

(٢) الرد علىٰ الجهمية ص (١٣٠).

* قوله: «**بكينونةِ الخَلْقِ**»، أي: بخَلْقِ الخَلْقِ، فعِلْمُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل تكوينِه لخلْقه كعلْمِه بهم بعد خلْقِهم.

يقولُ عزَّ مِن قائل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨]، فعَلِم سبحانه أنَّهم لو رجعوا إلى الدنيا -كما تمنَّوْا- فإنهم سيعودون للكفرِ والتكذيبِ، ورجوعُهم إلى الدنيا منَ المُحالِ؛ لأنَّ اللهَ قضى بهذا، ولكن لو رجعوا فإنَّ اللهَ سبحانه يعلمُ ما سيكونُ مِن حالِهم[(١)].

وقولُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

ومنها قولُ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لمَّا سُئِلَ عن أولادِ المشركين-: «**اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين**»[(٢)]، أي: أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يعلمُ ما سيعملون لو أنَّهم عاشوا ولم يموتوا صغارًا[(٣)].

---

(١) شرح أصول السنة للإمام أحمد، للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٩٧)، و مسلم في صحيحه رقم:(٢٦٦٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) شرح أصول السنة للإمام أحمد، للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(١٠٣).

❁ **المرتبةُ الثانيةُ: كتابتُه عَزَّوَجَلَّ ما سَبَقَ به علْمُه.**

أي: الإيمانُ الجازمُ بأنَّ اللهَ تعالىٰ كَتَبَ مقاديرَ الخَلْقِ والأشياءِ كتابةً علىٰ الحقيقةِ في اللَّوحِ المحفوظِ عنده، وعلىٰ التفصيلِ كما سَبَقَ به علْمُه بلا تفريطٍ لشيءٍ منه، وكان ذلك قبل أنْ يَخلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، حين أَمَرَ سبحانه القلمَ - بعد خَلْقِه - أنْ يَكْتُبَ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ، فجاءتِ الكتابةُ موافقةً لِما سَبَقَ به علْمُه لكلِّ ما سيكونُ مِنَ الأشياءِ والخلائقِ وما هم عاملون.

قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تعالىٰ في اللَّوحِ المحفوظِ مقاديرَ الخَلائقِ، فأوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القلمَ، فقال له: اكتُبْ، قال: ما أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ ما هو كائنٌ إلىٰ يومِ القيامةِ»(١).

ومِنَ الأدلَّةِ علىٰ هذه المرتبةِ:

قولُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وقولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

ومنها قولُ الرسولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أنْ يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، قال: وعرشُه علىٰ الماءِ**»(٢).

---

(١) العقيدة الواسطية (ص:١٠٧)، وقد جاء في مسند أحمد رقم: (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٠١٧) عن عبادةَ بنِ الصامتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القلمَ، ثُمَّ قال: اكتب، فَجَرىٰ في تلك السَّاعةِ بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة**».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم:(٢٦٥٣).

❁المرتبةُ الثالثةُ: المشيئة[1].

مشيئتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للأشياءِ قبل كونِها على وَفقِ ما سَبَقَ به علْمُه ممَّا كتبه جَلَّ وَعَلَا في اللَّوحِ المحفوظِ، فلا يقعُ شيءٌ في الكونِ وفي مُلْكِ اللهِ تعالى إلا بمشيئتِه، فما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، ولا يقعُ في مُلكِه عَزَّوَجَلَّ مِن حركةٍ ولا سُكونٍ إلا بمشيئتِه، وعلى مقتضى حكمتِه، كيف شاء ومتى شاء سبحانه، ولا يكونُ في مُلكِه إلا ما يُريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنَّه على كل شيءٍ قديرٌ، لا إلهَ إلا هو.

ومِنَ الأدلَّةِ على هذه المرتبةِ:

قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣].

وقولُه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:٢٩].

قال الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه المَرتبةُ قد دلَّ عليها إجماعُ الرُّسلِ مِن أوَّلِهم إلى آخِرِهم، وجميعُ الكُتبِ المُنزَّلة مِن عندِ اللهِ، والفطرةُ التي فَطَرَ عليها خَلْقَه، وأدلَّةُ العقولِ والعَيان، وليس في الوجود موجِبٌ ومقتضٍ على الحقيقةِ إلا مشيئةُ اللهِ وحدَه، فما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ»[2].

❁المرتبةُ الرابعةُ: الخَلْقُ والإيجاد.

وهي الإيمانُ بخَلْقِ اللهِ تعالى الأعمالَ وتكوينِها وإيجادِها على وَفق مشيئتِه ممَّا سَبَقَ به علْمُه وكتابتُه، فتكونُ وتوجدُ كما شاء لها في أعيانِها وهيئاتِها وأزمانِها وأوصافِها، لا تخرج في ذلك كلِّه عمَّا شاءهُ وأرادهُ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) وقد ذكرتُ عنوانًا لهذه المرتبة والتي تليها تبعًا لما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لأصول السنة للإمام أحمد.

(٢) شفاء العليل (١/ ١٤٧).

وهذه المرتبةُ [1]هي أعظمُ وأكثرُ محلِّ النِّزاعِ والخلافِ بين أهلِ الحقِّ وبين مخالِفِيهم مِنْ أهلِ البِدعِ والأهواءِ.

ومِنَ الأدلَّةِ على هذه المرتبةِ:

قولُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[الزمر:٦٢].

وقولُه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وقولُه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [النحل:٨١].

يقول ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أنَّه هو الذي جَعلَ السرابيلَ، وهي الدُّروعُ والثيابُ المصنوعةُ، ومادَّتُها لا تُسمَّى سرابيلَ، ولا تُسمَّى بذلك إلَّا بعد أنْ تَحُلَّها صَنعةُ الآدميين وعملُهم، فإذا كانت مجعولةً للهِ فهي مخلوقةٌ له بجُملتِها: صورتِها، ومادَّتِها، وهيئاتِها»[2].

ومِنَ الأدلَّةِ أيضًا على هذه المرتبةِ: قولُ الرسولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ يَصنعُ كُلَّ صانعٍ وصنْعَتَه**»[3].

---

(١) **المرتبةُ الثالثةُ وهي المشيئة، والمرتبةُ الرابعةُ: الخَلْقُ والإيجاد** هما أعظمُ وأكثرُ مراتبِ القَدَرِ التي وقع فيهما النِّزاعُ والخلافُ بين أهلِ الحقِّ ومخالِفِيهم مِنْ أهلِ البِدعِ والأهواءِ.

(٢) شفاء العليل (١/ ١٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد رقم: (١٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:(١٦٣٧).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فأَخبر [رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] أنَّ الصناعاتِ وأهلَها مخلوقةٌ»[(١)].

وخلاصةُ مذهبِ أهلِ السُّنةِ في الإيمانِ بالقَدَرِ:

أنَّ الله عَلِمَ الأشياءَ كلَّها، وعَلِمَ ما تكونُ عليه، ثُمَّ كتبها في اللَّوحِ المحفوظِ، ثُمَّ شاءَها وأرادها، ثُمَّ خَلَقَها وأوجدها طِبقًا لِما عَلِمَها وكتبَها وشاءَها أنْ تقعَ.

فكلُّ مقدورٍ وكائنٍ تتوفَّرُ فيه حسب معتقدِهم أربعةُ أشياءَ:

١- أنَّ اللهَ تعالىٰ عَلِمَها بعلمِه الأزليِّ.

٢- أنَّ اللهَ تعالىٰ كَتبها في اللَّوحِ المحفوظِ قبل أنْ يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ.

٣- أنَّ اللهَ تعالىٰ شاءها أنْ تكونَ وأنْ تقعَ.

٤- أنَّها وقعتْ وكانتْ بقدرتِه، ومشيئتِه، وخَلْقِه، وتكوينِه.

والمقدوراتُ الواقعةُ [(٢)]إنَّما وقعتْ بكسْبِ العِبادِ وإرادتِهم التابعةِ لإرادةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والإرادةُ المتعلِّقةُ بالقُدرةِ هي الإرادةُ الكونيَّةُ القدَريَّةُ التي لا يتخلَّفُ ما أُريدَ بها[(٣)].

---

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ٦٦).

(٢) أي مِنْ أفعالِ العِبادِ.

(٣) الإرادةُ تنقسمُ إلىٰ قسمين:

الأولُ: إرادةٌ كونيَّةٌ قدريَّةٌ: وهذه الإرادةُ مرادفةٌ تمامًا للمشيئةِ، فـ (أراد) فيها بمعنىٰ (شاء)، وهذه الإرادةُ: تعني مشيئةَ اللهِ تعالىٰ الشاملةَ للحوادثِ كلِّها، فهي متعلِّقةٌ بما يشاء اللهُ فعْلَه. =

ولا يَعنون بهذا أنَّ الإنسانَ مجبورٌ، بل أنَّه أمام غيبٍ لا يَعلمُ ما قَدَّرَ اللهُ وقضاه فيه، فهو يَفعلُ باختيارِه ولا عِلْمَ له بأنَّ هذا يتخلَّفُ عنه أو لا يتخلَّفُ، ثُمَّ لا يعلَمُ أيضًا إنْ بَذَلَ الأسبابَ كان كذا وكذا، فإنَّ الموانعَ والأسبابَ يقدِّرُها اللهُ تعالىٰ ويقضيها.

فتراه يحقِّقُ إرادتَه واختيارَه، ثُمَّ يَعزِمُ ويقصدُ باذلًا الأسبابَ؛ سعيًا منه في تحصيلِ المُرادِ، فإنْ وقعَ وكان ما أرادَه حَمِدَ اللهَ تعالىٰ، وإنْ وقعَ غيرُ ذلك فإنَّه يصبرُ ويحتسِبُ، مع اعتقادِه الجازمِ بأنَّ ما أصابَه لم يكنْ ليُخطِئَه، وأنَّ ما أخطأه لم يكنْ ليصيبَه، وهو مع هذا كلِّه لا يَرىٰ في نفسه إكراهًا أو جبْرًا، ولكنَّه يقولُ ويُردِّدُ: «ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ»، ويقولُ أيضًا: «قَدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَلَ».

= **الثاني**: إرادةٌ دينيَّةٌ شرعيَّةٌ: وهي مرادفةٌ للمحبةِ، فـ (أراد) فيها بمعنىٰ (أَحبَّ)، فهذه الإرادةُ تتعلَّقُ بكلِّ ما يأمر اللهُ تعالىٰ به ويحبُّه ويَرضاه.

وبين الإرادةِ الشَّرعيَّةِ والإرادةِ الكونيَّةِ فروقٌ، ومنها:

أولًا: أنَّ الإرادةَ الكونيَّة عامَّةٌ فيما يُحبُّه اللهُ وما لا يُحبُّه ، وأمَّا الشرعيَّةُ فتختصُّ بما يحبُّه اللهُ، فاللهُ لا يَشرعُ لعباده إلا ما يحبُّه ويرضاه.

ثانيًا: أنَّ الإرادةَ الكونيَّةَ لا بُدَّ مِن وقوعِها؛ إذا شاء شيئًا وَقَعَ حتمًا، كإحياءِ أحدٍ أو إماتَتِه.

وأمَّا الشرعيَّة فلا يلزمُ فيها وقوعُ المرادِ، بمعنىٰ: أنَّ اللهَ يُريد شيئًا ولا يقعُ، فهو سبحانه يُريدُ مِن الخَلْقِ أنْ يعبدوه، ولا يلزمُ وقوعُ هذا المرادِ، فقد يَعبدونه، وقد لا يَعبدونه.

ثالثًا: الإرادةُ الكونيَّةُ قد تكونُ مقصودةً لغيرها كخَلْقِ إبليسَ، والشرورِ؛ لتحصُلَ المجاهدةُ والتوبةُ، وأما الإرادةُ الشرعيَّةُ فإنَّها مقصودةٌ لذاتِها.

رابعًا: الإرادةُ الكونيَّةُ لا تستلزِمُ الأمرَ إلَّا أنْ تتعلَّقَ بالإرادةِ الشرعيَّةِ، وأمَّا الإرادةُ الشرعيَّةُ فتستلزِمُ الأمرَ، فكلُّ ما أراده اللهُ شرعًا فقد أَمَرَ به.

انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ١٥٦)، ومجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١١/ ٢٦٦)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٢٣)، وشرح الواسطية لصالح الفوزان ص (٣٠).

وأفعال العباد تُنسَب إليهم، ولا يَعنون أنَّهم خلَقوها في أنفسِهم، بل اللهُ مكَّنَهم منها وشاءها لهم وأقْدَرهم عليها، وخَلَقَ فيهم الإرادةَ والقدرةَ على تلك الأفعالِ، فالأفعالُ تُنسبُ إليهم فِعلًا وكَسْبًا، ومِنْ ثَمَّ يُمدحون عليها أو يُذَمُّون، مع اعتقادِهم أنَّ اللهَ خَلَقها وأوجدَها، وأنَّه لو لم يشأْها لم تكُنْ، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي أعانَهم وأقدرَهم عليها، فهي تُضافُ إلى اللهِ تعالى خَلقًا وإيجادًا، وتُضافُ إلى العِباد كَسْبًا وفِعْلًا.

وهذه العقيدةُ تتَّفقُ مع النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ مِنْ أنَّ ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكُنْ، وأنَّه لا يقعُ في مُلْكِه إلا ما يُريدُ، وأنَّ للعِبادِ مع ذلك كُلِّه مشيئةً وإرادةً واختيارًا، عليها يُمْدحون أو يُذمُّون.

وتقومُ هذه العقيدةُ على الجَمْعِ بين النُّصوصِ، وعدمِ إهمالِ أيٍّ منها، فيُضافُ إلى اللهِ تعالى ما يُناسِبُ كمالَه، ويُضافُ إلى العبدِ ما يُناسِبُ حالَه على حدِّ قولِ اللهِ تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير ٢٨:٢٩][1].

فهذه آيةٌ جامعةٌ تُثبِتُ مشيئةَ العِبادِ بما يُناسِبُهم، وتُثبِتُ للهِ تعالى كمالَ المشيئةِ، وأنَّ مشيئةَ العِبادِ تابعةٌ لمشيئةِ اللهِ تعالى؛ لأنَّه سبحانه خالِقُ كُلِّ شيءٍ.

ويُضافُ أيضًا، أنَّ إرسالَ الرُّسُلِ، وإنزالَ الكُتبِ، وإثباتَ الحدودِ الشَّرعيَّةِ كلَّها تُثبِتُ مشيئةَ العِبادِ.

وقد وقعَ الخلافُ في مسألةِ القَدَرِ في صَدْرِ هذه الأُمَّةِ، ثُمَّ كَثُرَ الخوضُ فيها،

---

(١) قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ فيه ردٌّ على الجبرية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، فيه رَدٌّ على القدريَّة.

وحدث في الإسلامِ أمرٌ عظيمٌ، خالفت فيه طوائفُ مِمَّن خُولِفَ بهم عنِ الصِّراطِ المستقيمِ، واتَّبعوا السُّبُلَ فتفرَّق بهم عن سبيلِ اللهِ ومنهجِه القويمِ، وانتصروا لأهوائِهم فأردَتْهم في مهاوي الهلاكِ والرَّدىٰ.

لقد كانتِ البدايةُ الحقيقيةُ لنشأةِ الاختلافِ وتفرُّقِ الأُمَّةِ في هذا الأصلِ العظيمِ في أواخِرِ عهدِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين نَبَغَ مَعْبَدٌ الجُهنيُّ[1] وأظهرَ القولَ بنفيِ القَدَرِ كما رَوىٰ الإمامُ مسلمٌ عن يحيىٰ بنِ يَعْمرَ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان أوَّلَ مَن قال في القَدَرِ بالبصرةِ مَعْبَدٌ الجُهنيُّ، فانطلقتُ أنا وحُميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحِميريُّ حاجَّينِ أو مُعتمرَين، فقلنا: لو لقينا أحدًا مِن أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألْناه عمَّا يقولُ هؤلاءِ في القَدَرِ، فوُفِّقَ لنا عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطَّاب داخلًا المسجدَ، فاكتنفتُه أنا وصاحبي، أحدُنا عن يمينِه والآخَرُ عن شمالِه، فظننتُ أنَّ صاحبي سيَكِلُ الكلام إليَّ، فقلتُ: أبا عبدِ الرَّحمنِ، إنَّه قد ظَهَرَ قِبَلنا ناسٌ يقرؤُون القرآنَ ويتقفَّرون العِلْمَ[2] - وذَكَرَ مِن شأنِهم -،وأنَّهم يزعمون أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ[3].

قال ابنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فإذا لقِيتَ أولئك، فأخبرهم أنِّي بريءٌ منهم، وأنَّهم بُرآءُ منِّي، والذي يَحْلِفُ به عبدُ الله بنُ عمرَ، لو أنَّ لأحدِهم مِثلَ أُحُدٍ ذهبًا فأنفقَه، ما قَبِلَ اللهُ منه حتىٰ يُؤمنَ بالقَدَرِ، ثُمَّ قال: حدَّثني أبي عُمَرُ بنُ الخطَّابِ...». فذَكَرَ حديثَ

---

(١) معبدُ بنُ عبد اللهِ الجهنيُّ البصريُّ، قال عنه الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « سَنَّ سنةً سيئةً، وكان أول مَن تكلَّم في القدرِ، ونهىٰ الحسنُ الناسَ عن مجالسته، وقال: هو ضالٌّ مُضِلٌّ». ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١).

(٢) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (يتقفَّرون العلمَ): يطلبونه ويتتبعونه. [شرح مسلم للنووي١/ ١٥٥].

(٣) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : (**الأمرُ أُنُفٌ**)، أي: مستأنَفٌ لم يسبقْ به قَدَرٌ ولا عِلْمٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ، وإنَّما يعلمُه بعد وقوعِه. [شرح مسلم للنووي ١/ ١٥٦].

جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المشهورَ في تعريفِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ[١].

يقول شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد رُوِيَ أنَّ أوَّلَ مَنِ ابتدعَه بالعراقِ رجلٌ مِن أهلِ البصرةِ يُقالُ له سيسويه مِن أبناءِ المجوسِ، وتلقَّاه عنه مَعْبَدٌ الجُهنيُّ»[٢].

وقد أخذ غَيلانُ الدِّمشقيُّ[٣] عن مَعْبَدٍ.

وهؤلاء هُم أقطابُ القَدريَّة ورجالُها الأوائلُ، ويدورُ مذهبُهم على مرتبةِ العِلْمِ، ومرتبةِ الخَلْقِ والإيجادِ، فهم ينفون عِلْمَ اللهِ بأفعالِ العِبادِ، والأشياءِ قبل وقوعِها، كما ينفون خَلْقَه عَزَّوَجَلَّ لأفعالِ العِبادِ وتقديرَه سبحانه لها.

ويمثِّلُ هذا المذهبُ الغُلوَّ والتَّطرُّفَ في نفيِ القَدَرِ، ويمثِّلُ رجالُه غلاةَ نفاةِ القَدَرِ؛ لأنَّهم يقولون: لا قَدَرَ، وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ، فمَنْ شاء هدىٰ نفسَه، ومَنْ شاء أضلَّها، فالأمرُ كلُّه مرجِعُه إلىٰ مشيئةِ العَبْدِ واختيارِه لنفسِه وإرادتِه الخيرَ أو الشَّرَّ أو الهدىٰ أو الضَّلالَ، كما أثبتوا في مُلكِ اللهِ تعالىٰ ما لا يُريدُ ولا يشاءُ، وتوهَّموا وقوعَ ما لا يشاءُ في مُلْكِه عَزَّوَجَلَّ، واعتقدوا أنَّ في مشيئةِ اللهِ ما لا يكونُ ولا يقعُ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨).

* حديثُ جبريل حديث عظيم جامع لأصول الإسلام، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيصلح هذا الحديث أن يُقالَ فيه: إنَّه أمُّ السُّنَّة لِمَا تضمنَّه من جُمَلِ عِلْمِ السُّنَّة». [المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ١٥٢)].

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٨٤).

(٣) غيلان الدمشقيُّ كان قِبطيًّا، قدريًّا، لم يسبقه أحدٌ في القَدَرِ قبلَه إلا معبدٌ الجهنيُّ، وقد أخذ هشام بنُ عبد الملك غيلانَ فصلبه بباب دمشق. انظر: المعارف لابن قتيبة (ص٤٨٤)، وقال الذهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غيلان بن أبي غيلان المقتولُ في القَدَرِ، ضالٌّ مسكينٌ». [ميزان الاعتدال (٣/ ٣٣٨)].

وقدِ انقرضَ هذا المذهبُ وانقرضَ أهلُه، ولكن بقِيتْ خلوفُهم وذيولُهم الذين اتَّخذوا مِن أولئك الغُلاةِ سَلَفًا وسادةً، فجاؤوا مِن بعدِهم يُقَرِّرون ما أَسَّسَه أسلافُهم، وأنَّه سبحانه يعلمُ بالأشياءِ قبل وقوعِها، إلا أنَّهم ينفون تقديرَ اللهِ وخلْقَه لأفعالِ العِبادِ، فهم نفاةٌ للقَدَرِ بهذا المعنى، وإنْ سمَّوا باطلَهم ونفيهم عَدْلًا.

يقول القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرُه: «قدِ انقرضَ هذا المذهبُ - أيْ مذهبُ غُلاةِ النُّفاةِ - ولا نعرِفُ أحدًا يُنسَبُ إليه مِنَ المتأخرين.

والقَدَريَّةُ اليومَ مُطبِقون على أنَّ اللهَ تعالى عالِمٌ بأفعالِ العِبادِ قبل وقوعِها، وإنَّما خالفوا السَّلفَ في زعمِهم بأنَّ أفعالَ العِبادِ مقدورةٌ لهم، وواقعةٌ منهم على جهةِ الاستقلالِ، وهو مع كونِه مذهبًا باطِلًا، أخفُّ مِنَ الأوَّلِ»[1].

وهذا المذهبُ القائمُ على نفيِ خَلْقِ الله تعالى وتقديرِه لأفعالِ العِبادِ هو الذي تبنَّته المعتزلةُ[2]، وجعلته أصلًا مِن أصولِها التي يقومُ عليها كَيانُ الاعتزالِ، ومذهبُهم في الاعتقادِ.

---

(١) وقد نقل الحافظ ابنُ حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٩)كلامَ القرطبي بمعناه، وتابعه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

* ونص كلام القرطبي كما في المُفهم (١/ ١٣٢): «وقد تُرِكَ اليومَ، فلا يُعرفُ مَنْ يُنسَبُ إليه مِنَ المتأخرين مِنْ أهلِ البدعِ المشهورين، والقدريَّةُ اليومَ: مُطبِقون على أنَّ الله تعالى عالِمٌ بأفعالِ العِباد قبلَ وقوعِها؛ ومعنى القَدَرِ عند القائلين به اليومَ: أنَّ أفعالَ العبادِ مقدورةٌ لهم، وواقعةٌ منهم بِقُدرَتِهم ومشيئتِهم على جهة الاستقلالِ، وأنَّها ليست مقدورةً للهِ تعالى ولا مخلوقةً له، وهو مذهبٌ مبتدَعٌ باطلٌ بالأدلَّةِ العقليَّةِ والسمعيَّة».

(٢) فرقةٌ مِن فِرقِ أهلِ الباطلِ والضَّلال ظهرتْ مطلعَ القرنِ الثاني الهجري في مدينةِ البصرةِ =

ولقد نبغتْ طائفةٌ أُخرىٰ خُولِفَ بها عن صراطِ اللهِ فأظهروا مذهبًا يُمثِّلُ طَرَفًا مُضادًّا للقولِ بنفيِ القَدَرِ، وهو القولُ بالجبرِ[(١)]، ومدارُه ومضمونُه: **أنَّ العبدَ مجبورٌ علىٰ أفعالِه، فلا قدرةَ له، ولا اختيارَ، ولا إرادةَ، فهو كالرِّيشةِ في مهبِّ الرِّيحِ، وأنَّ الأفعالَ إنَّما تُنسَبُ إليه كنسبةِ الحركةِ للأشجارِ، والجريانِ للماءِ، والدَّورانِ للأفلاكِ، والزَّوالِ للشَّمسِ، وأمَّا في حقيقةِ الأمرِ فإنَّه مجبورٌ علىٰ فِعْلِ الطَّاعاتِ، وعلىٰ فِعْلِ المعاصي، لا قدرةَ له البتَّةَ، وأنَّ اللهَ تعالىٰ هو الفاعلُ القادرُ.**

وهؤلاءِ هم أتباعُ الجهمِ بنِ صفوانَ[(٢)]، وكان ذلك في أواخِرِ دولةِ بني أُميَّةَ بعد ظهورِ القَدريَّةِ، وظهورِ المعتزلةِ وغيرِهم.

= علىٰ يدِ واصلِ بنِ عطاءٍ، ومن أسباب تسميتِها بذلك اعتزالُ رأسِ المعتزلة عمرو بنِ عبيدٍ ومَن معه مجلسَ الحسنِ البصريِّ، وقد خالفتِ المعتزلةُ منهجَ أهل السنة والجماعة في أصول كثيرةٍ، فقالوا: بتقديم العقلِ علىٰ النَّقلِ، وردِّ خبرِ الآحاد، ونفيِ صفاتِ الرَّحمنِ، والقولِ بخَلْقِ القرآنِ، ونفيِ رؤيةِ المؤمنين لربِّهم في الآخرة، وغير ذلك من عقائدهم الباطلة.

انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ص١٥٧)، والانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني (٢/ ٥٤٤).

(١) قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أعرف للجبرِ أصلًا مِنَ القرآنِ والسُّنةِ». شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٤/ ٧٧٥).

(٢) هو الجهمُ بنُ صفوانَ الراسبيُّ، وهو أولُ مَن جاهر بالقولِ بخَلْقِ القرآنِ، وتعطيل صفاتِ الرحمن، قال عنه الذهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الضالُّ المبتدعُ رأسُ الجهميَّةِ، هَلَكَ في زمانِ صغارِ التابعين، وما علمتُه رَوىٰ شيئًا، ولكنه زرع شرًّا عظيمًا»، وقد قَتَلَ سلمُ بنُ أحوز الجهمَ بنَ صفوانَ في آخر زمان بني أمية سنة ١٢٨ للهجرة.

انظر: ميزان الاعتدال للذهبي(١/ ٤٢٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢١٧).

ويُمثِّلُ هذا المذهبُ الغُلُوَّ والتَّطرفَ في إثباتِ القَدَرِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى القائمِ على نفيِ قُدرةِ العبدِ وإرادتِه واختيارِه.

وهؤلاء شرٌّ مِنَ النُّفاةِ، وأضرُّ على الإسلامِ وأهلِه منهم؛ حيث إنَّ مذهبَهم يستلزِمُ تعطيلَ الأمرِ والنَّهيِ، ونفيَ الحكمةِ والرَّحمةِ عن اللهِ تعالى فيما شَرَعَ وأَمرَ ونَهى.

ما تقدَّم هو خلاصةُ أقوالِ النَّاسِ، وتفرُّقِ المذاهبِ في القَدَرِ، ومخالفتِهم للحقِّ بسببِ الخوضِ في مسائلِ القضاءِ والقَدَرِ، وما آلَ بهم الأمرُ إلى الكُفْرِ والضَّلالِ والإلحادِ في دينِ اللهِ تعالى.

كلُّ ذلك بسببِ خوضِهم فيه بلا عِلمٍ ولا هُدًى مِنَ اللهِ تعالى، وبسببِ إطلاقِ عنانِ العقلِ والرَّأيِ والاستحسانِ فيما غيَّبَ اللهُ تعالى عن مداركِ العقولِ، ومرجعُ ذلك هو عدمُ الوقوفِ عند النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ، وعدمُ تقديمِ النَّقلِ، وعدمُ الكفِّ عمَّا كفَّ عنه السَّلفُ، والوقوفِ حيثُ وقفوا.

كلُّ ذلك وهم يعلمون حقَّ العِلْمِ الأمرَ بالإمساكِ، والوقوفِ عند ذكرِ القَدَرِ، وهو أصلٌ عظيمٌ من أصولِ وقواعدِ الإيمانِ بالقدرِ عند سلَفِ هذه الأُمَّةِ؛ امتثالًا لأمرِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لأنَّه سِرٌّ عظيمٌ مِنْ سِرِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلا ينبغي الخوضُ فيه، ولا الغُلُوُّ في مباحثِه وتفريعاتِه؛ تحقيقًا لقولِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، ولأنَّه هو الحكيمُ العليمُ الذي لا يخلو شيءٌ مِن فعلِه مِن العَدْلِ والرَّحمةِ والحكمةِ، سواءٌ أدركتِ العقولُ ذلك أمْ جهلتْهُ وغاب عنها، فالخيرُ كلُّه بيدِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشَّرُّ ليس إليه.

ولا ريبَ أنَّ الحقَّ هو ما ذهب إليه سلفُ الأُمَّةِ، وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، وقولُهم حقٌّ وصوابٌ بين باطلين، وهدًى ورشادٌ بين ضلالتين، وبهذا تتبيَّنُ وسطيَّتُهم بين

فِرقِ الأُمَّةِ، وهكذا دينُ اللهِ تعالىٰ وسطٌ بين الغالي والجافي، وهكذا يتميَّزُ الحقُّ والرَّشادُ بين الإفراطِ والتفريطِ الذي عليه أهلُ الباطلِ.

فالقَدَريَّةُ النُّفاةُ يُمثِّلون الإفراطَ والغُلُوَّ في إثباتِ قُدْرةِ العَبْدِ، ويُمثِّلون التَّفريطَ، والتقصيرَ، والجفاءَ بما سَلبوه مِن قُدْرةِ اللهِ ونفوه عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

بينما يُمثِّلُ القدريَّةُ الغُلاةُ – الجبريَّةُ – الإفراطَ والغُلُوَّ في إثباتِ القَدَرِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، ويُمثِّلون التَّفريطَ والتَّقصيرَ العظيمَ بما سلبوه مِنْ مشيئةِ الإنسانِ وقدرتِه واختيارِه.

ولا شكَّ أنَّ كِلا الفريقين مِنَ الإفراطِ والتَّفريطِ علىٰ شفا جُرُفٍ هارٍ، وكما قيل:

كِلا طرفيْ قصدِ الأمورِ ذميم.

ولا يمنعُنا الحُكْمُ بخطئِهم وضلالِهم – عند تحقيقِ مذاهبِهم وأقوالِهم – أنْ نقرِّرَ أنَّ كلَّ فريقٍ منهم معه بعضُ الحقِّ والصَّوابِ:

– «**فالقدريَّةُ النُّفاةُ والمعتزلةُ**» أحسَنوا في إثباتِ قُدْرةِ العبدِ واختيارِه وإرادتِه، وأساؤوا إساءةً بليغةً في نفْيِ تقديرِ اللهِ تعالىٰ وخَلْقِه لأفعالِ العِبادِ.

– «**والقدريَّةُ الغُلاةُ مِنَ الجهميَّةِ**» أحسَنوا في إثباتِ قَدَرِ اللهِ تعالىٰ، وأساؤوا في نفْيِ قُدرةِ العَبْدِ واختيارِه لأفعالِه.

فكُلُّ فريقٍ منهم أحسنَ في جانبٍ، وأساء في جانبٍ، فليس المذهبُ الحقُّ والرَّشادُ المحضُ في قولِ أيٍّ منهما.

وأمَّا «**أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ**» فقد جمعوا في مذهبِهم بين الحسَنَتينِ وزادوا عليهما، واجتنبوا إساءةَ كُلِّ فريقٍ منهما.

حيث نظروا إلىٰ نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ وجمعوا بينها، بخلافِ أولئك الذين نظروا إليها بعينٍ عوراءَ، فأعملوا جانبًا مِنَ النُّصوصِ وأهمَلوا الجانبَ الآخَرَ، يأخذون ما لهم، ويدَعون ما عليهم.

والأصلُ والحقُّ إنَّما هو في جمْعِ نصوصِ البابِ وإعمالِ الثابتِ منها، والانقيادِ لها، والتسليمِ لما جاء عنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعنْ رسولِه ﷺ، فأعملوا النُّصوصَ العامَّةَ المثبتةَ لمشيئةِ اللهِ وفعلِه وخَلْقِه، كما أعملوا النُّصوصَ المثبتةَ لقدرةِ العبدِ ومشيئتِه وفعلِه، ولكنهم قيَّدوه بخلْقِ اللهِ، وجعلوا مشيئةَ العبدِ تناسِب ضعفَه وحالَه، فقالوا: إنَّ مشيئتَه مخلوقةٌ للهِ، تابعةٌ لمشيئتِه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وبهذا جاء مذهبُهم جامعًا لكلِّ إحسانٍ، بريئًا مِن كُلِّ إساءةٍ، فتوسَّطوا بين الضَّلالتينِ، أعني: النَّفيَ والجبْرَ، فأثبتوا قَدَرَ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما قرَّرته النُّصوصُ، وأثبتوا اختيارَ العبدِ وكسبَه الذي به يُحمدُ أو يُذمُّ، ويُثابُ أو يُعاقبُ، مع اعتقادِ أنَّ إرادةَ العبدِ لا تخرجُ عن إرادةِ اللهِ تعالىٰ؛ جمعًا منهم بين النُّصوصِ وعدمِ ضَرْبِ بعضها ببعضٍ أو ردِّ شيءٍ منها، ووقوفًا عند النُّصوصِ وتقديمِها علىٰ العقلِ والرَّأيِ، ثُمَّ وقوفًا علىٰ فهمِ سَلَفِ هذه الأُمَّةِ مِن الصَّحابةِ والتَّابعين لهم بإحسانٍ لتلك النُّصوصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمَهم.

وإنَّ مِمَّا قرَّره علماءُ السَّلفِ وأجمعوا عليه: تحريمَ الخوضِ في القَدَرِ ووجوبَ الإمساكِ عنه [1]، وتحقيقًا لهذا الأصلِ؛ قرَّروا وجوبَ تَرْكِ الكلامِ مع أهلِ القَدَرِ فيه، وترْكِ الاستماعِ إلىٰ شبهِهم وضلالاتِهم لِما تُسبِّبُ مِنَ الزَّيغِ والضَّلالِ والانحرافِ،

(١) امتثالًا لقول النبيِّ ﷺ: «**إذا ذُكِرَ القَدَرُ فأمْسِكوا**» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٤٥).

كلُّ ذلك على مقتضى النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ والوقوفِ عندها، والاقتداءِ بسلفِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحابةِ ومَنْ تبعهم بإحسانٍ مِن علماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ على ما جاء عنهم وثبت قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

وأذكرُ هنا طائفةً عَطِرةً مِن آثارِ السَّلَفِ التي تُبيِّنُ مذهبَهم ومواقفَهم، والتي عليها بَنى أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ قواعدَهم وأصولَهم في الاعتقادِ و الدِّين:

فعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّه ذُكِرَ عنده القَدَرُ يومًا، فأدخل أصبعيه (السَّبَّابةَ والوُسطى) في فِيه، فَرقَمَ بهما باطنَ يديه فقال: «أشهدُ أنَّ هاتين الرَّقمتين كانتا في كتابِ اللهِ»(١).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ أحدَكُم لنْ يَخْلُصَ الإيمانُ إلى قلبِه حتى يستقرَّ يقينًا غيرَ ظنٍّ: أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطِئه، وما أخطأه لم يَكُنْ ليُصيبَه»(٢).

وعن ابنِ مسعودرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا واللهِ، لا يَطعمُ رجلٌ طَعْمَ الإيمانِ حتَّى يُؤمِنَ بالقَدَرِ»(٣).

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد ابن حنبل في السُّنة (٢/ ٤٣٢) بسنده إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكِرَ عندَه القَدَرُ يومًا، فأَدْخلَ أُصْبعيه السَّبابةَ والوسطى في فِيه فَرَقَم بهما باطنَ يديه، فقال:«أَشهدُ أنَّ هاتين الرَّقمتين كانتا في أُمِّ الكتابِ».

قوله: «**فأَدْخلَ أُصْبعيه السَّبابةَ والوسطى في فِيه فَرَقَم بهما باطنَ يديه**» أي: أَدْخلَ إصبعيه السَّبابةَ والوسطى في فمِه فبلَّهُما بريقِه فخَتَم بهما باطنَ كفِّه، وقال: إنَّ هذا الخَتْمَ قد عَلِمَه اللهُ تعالى أزلًا فهو في أمِّ الكتابِ، أي: اللوحِ المحفوظ.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٣٨).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٣٩).

وعن ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : «العجْزُ والكَيْسُ مِن القَدَرِ»(١).

وفي رواية أخرىٰ: «العَجْزُ والكَيْسُ بقدَرٍ»(٢).

وعن طاووسَ اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أدركتُ ناسًا مِن أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: «كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ»، وقال أيضًا: سمعتُ ابنَ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قال رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتَّىٰ العجْزِ والكَيْسِ**»(٣).

وعن طاووسَ أيضًا قال: أدركتُ ثلاثمائةٍ مِن أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: «كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ»(٤).

وعن عبادةَ بنِ الصَّامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا قال له ابنُه عبدُ الرحمنِ: أوصني، قال: أجلسوني، فأجلسوه، ثُمَّ قال: يا بُنيَّ، اتَّقِ اللهَ، ولن تتقيَ اللهَ حتَّىٰ تُؤمِنَ بالقَدَرِ، ولن تؤمنَ بالقدرِ حتىٰ تؤمنَ بالقدرِ خيره وشرِّه، وتعلَمَ أنَّ ما أصابك لم يَكُنْ لِيُخطِئَك، وما أخطأك لم يَكُنْ لِيُصيبك ثُمَّ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**القَدَرُ علىٰ هذا، مَن مات علىٰ غيرِ هذا أدخلَه اللهُ النَّارَ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد(٢/ ٦٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم: (٢٠٩٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٦٥٥).

قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكَيْس**» النشاط والحذق بالأمور، والمعنىٰ أنَّ العاجزَ قد قُدِّرَ عجزُه، والكَيِّسَ قد قُدِّرَ كَيْسُه. [شرح النووي علىٰ مسلم ١٦/ ٢٠٥].

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٩١).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٤٥).

وبنحو هذا جاء عن سلمانَ الفارسيِّ، وعمرانَ بنِ حُصينٍ، وجابر بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

هذه بعضُ أقوالِ السَّلَفِ مِن الصَّحابةِ الكِرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في بيانِ معنىٰ القَدَرِ، وأنَّه شامِلٌ لجميعِ أفعالِ العِبادِ، ومدىٰ أهميَّةِ ذلك في الإيمانِ وموقعِه منه.

وأمَّا أقوالُهم في بيانِ الموقفِ الحقِّ، والواجبِ الشَّرعيِّ نحوَ هذا الرُّكنِ، وبيانِ حُكْمِ مَن خالف في ذلك، وواجبُنا نحوَ المُخالفِ، والموقفِ منه، ومِن مذهبِه، فكثيرةٌ جدًّا، وعلَّةُ ذلك ظهورُ المخالفين، وظهورُ مذهبِهم في أواخرِ عهدِ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لذا انبرَوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للذَّبِّ عن دينِ اللهِ تعالىٰ، وتخليصِه مِنَ الشَّوائبِ نصحًا للأُمَّةِ، ثُمَّ تَبِعَهم علىٰ هذا الجهادِ والبيانِ التابعون ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ؛ تقريرًا للقواعدِ العامَّةِ والأصولِ الشَّرعيَّةِ التي يجبُ مراعاتُها في دينِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

فمِن أقوالِهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قولُ ابنِ أَبزىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ: أُتي عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقيلَ له: إنَّ ناسًا يتكلمون في القَدَرِ، فقام خطيبًا فقال: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما هَلَكَ مَن كان قبلَكم في القَدَرِ، والذي نفسُ عمرَ بيدِه، لا أسمعُ برجلين تكلَّما فيه إلَّا ضربتُ أعناقَهما»، قال: فأحجمَ الناسُ، فما تكلَّم فيه أحدٌ حتىٰ ظهرتْ نابغةُ الشامِ[2].

---

(١) أخرجه اللالكائي (٤/ ٧٤٩-٧٥٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٣٥).

المقصودُ بنابغةِ الشَّامِ: أي: ظهورُ غَيلانَ الدمشقيِّ، وهو رأسُ القدريَّةِ في الشَّامِ. فلم تزلِ الكلمةُ مجتمعةً، والجماعةُ متوافرةً علىٰ عهدِ الصَّحابةِ الأُوَلِ ومَن بعدَهم مِنَ السَّلفِ الصَّالحين، حتىٰ نبغتْ=

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رجلًا جاءه فقال: أخبرني عن القَدَرِ، فقال: «طريقٌ مُظْلِمٌ؛ فلا تَسْلُكْه»، قال: أخبرني عن القدر، قال: «بحرٌ عميقٌ؛ فلا تَلِجْهُ»، قال: أخبرني عن القَدَرِ، قال: «سرُّ اللهِ؛ فلا تَكَلَّفْهُ»(١).

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما غلا أحدٌ في القَدَرِ إلا خَرَجَ مِنَ الإسلامِ»(٢).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «القَدَرُ نظامُ التوحيدِ، فمَن وحَّدَ اللهَ ولم يُؤمنْ بالقَدَرِ كان كفرُه بالقضاءِ نقضًا للتوحيدِ، ومَن وحَّدَ اللهَ وآمَنَ بالقَدَرِ كان العروةَ الوثقى لا انفصامَ لها»(٣).

وعنه أيضًا قال: «كلامُ القدريَّةِ كُفْرٌ، وكلامُ الحَروريَّةِ(٤) ضلالةٌ»(٥).

وعنه أيضًا قال: «ليس قومٌ أبغضَ إلى اللهِ مِنَ القدريَّةِ»(٦).

وعن طاووسَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه دَخَلَ على ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له: يا ابنَ عباسٍ، الذين يقولون في القَدَرِ؟ فقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أروني بعضَهم»، قال: قلنا: صانعٌ ماذا

= نابغةٌ بصوتٍ غيرِ معروفٍ، وكلامٍ غيرِ مألوفٍ في أوَّلِ عهدِ عبد الملك بنِ مروانَ - تنازعُ في القَدَرِ وتتكلَّمُ فيه، حتى سُئِلَ عنهم عبدُ الله بنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انظر: شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٥).

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٨٤٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٦٩٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٤٢).

(٤) سمُّوا بالحرورية نسبةً إلى حروراء؛ وهي قرية قرب الكوفة، وهو المكانُ الذي خرجوا فيه على عليِّ ابنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام لغالب عواجي ١/ ٢٣٠].

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧١٣).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤١٦).

-أي: ماذا تصنعُ له؟- قال: «إذًا أَجْعَلُ يَدَيَّ في رأسِه، ثُمَّ أدقُّ عُنُقَه»(١).

وعن محمدِ بنِ عُبيدٍ المكيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قيل لابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ رجلًا قَدِمَ علينا يُكَذِّبُ بالقَدَرِ، فقال: «دلُّوني عليه»، وهو يومَئذٍ أعمىٰ، فقالوا: وما تصنعُ به؟ قال: والذي نفسي بيده لَئِنِ استمكنتُ منه، لأَعُضنَّ أنفَه حتَّىٰ أقطعَه، ولَئِنْ وقعتْ رقبتُه في يدي لأدُقَّنَّها، والذي نفسي بيده لا ينتهي بهم سوءُ رأيِهم حتىٰ يُخرجوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ مِن أنْ يكونَ قَدَّرَ الخيرَ، كما أخرجوه مِن أنْ يُقدِّرَ الشَّرَّ»(٢).

وعن عكرمةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنتُ حاضرًا عند عبد الله بنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فجاءه رجلٌ، فقال: يا أبا عباسٍ، أخبرني مَنِ القَدَريَّةُ؛ فإنَّ النَّاسَ قد اختلفوا عندنا بالمشرقِ؟ فقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «القَدَريَّةُ قومٌ يكونون في آخِرِ الزَّمان، دينُهم الكلامُ، يقولون: «إنَّ اللهَ لم يُقدِّرِ المعاصي علىٰ خَلْقِه، وهو معذِّبهم علىٰ ما قَدَّرَ عليهم» فأولئك همُ القَدَريَّةُ، فأولئك همْ مجوسُ هذه الأُمَّةِ، وأولئك ملعونون علىٰ لسانِ النبيِّين أجمعين، فلا تَقاوَلُوهم فيفتنوكم، ولا تجالِسوهم، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزَهم، أولئك أتباعُ الدَّجالِ، لَخروجُ الدَّجالِ أشهىٰ إليهم مِنَ الماءِ الباردِ»(٣).

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ القَدَريَّةَ مجوسُ هذه الأُمَّةِ، إنْ مَرِضوا فلا تعودوهم، وإنْ ماتوا فلا تشهدوهم**»(٤).

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤١٦).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٩٤٦).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٦٨).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٦٩١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٤٤٢).

* قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما جعلهم مجوسًا لمضاهاةِ مذهبِهم مذهبَ المجوسِ في قولِهم =

وعن نافعٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قِيلَ لابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يومًا: إنَّ قومًا يقولون: «لا قَدَرَ» قال: «أولئك القدريُّون، أولئك مجوسُ هذه الأُمَّةِ»(١).

وعن نافعٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا قال: كان لابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا صديقٌ مِن أهلِ الشَّامِ يُكاتِبُه، فكَتب إليه عبدُ الله بنُ عمرَ: إنَّه بلغني أنَّك تكلَّمتَ في شيءٍ مِنَ القَدَرِ، فإيَّاك أنْ تَكْتُبَ إليَّ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**إنَّه سيكونُ في أُمَّتي أقوامٌ يُكذِّبون بالقَدَرِ**»(٢).

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سيكونُ ناسٌ يُصَدِّقون بقَدَرٍ، ويُكذِّبون بقَدَرٍ»، قال موسى(٣): فلَعَنَهُم أبو هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند قولِه هذا(٤).

وأمَّا ما جاء عن أئمَّةِ التَّابعين ومَن تبِعهم في تأصيلِ الاعتقادِ وحمايتِه مِنَ البدعِ والمُحدَثاتِ، فكثيرٌ جدًّا، منه:

* عن سالمِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنَّه كان يَلعنُ القَدَريَّةَ(٥).

= بالأصلين، وهما: النُّورُ والظلمةُ، يزعمون أنَّ الخيرَ مِن فعلِ النُّورِ، والشرَّ مِن فعلِ الظُّلمةِ فصاروا ثنويَّةً، وكذلك القدريةُ يُضيفون الخيرَ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والشرَّ إلى غيرِه، والله سبحانه خالقُ الخيرِ والشرِّ، لا يكونُ شيءٌ منهما إلَّا بمشيئته، وخَلقُه الشرَّ شرًّا في الحكمةِ؛ كخلقِه الخير خيرًا، فالأمران معًا مُضافان إليه خَلقًا وإيجادًا، وإلى الفاعلِين لهما مِن عبادِه فِعلًا واكتسابًا».

انظر: معالم السنن (٤/ ٣١٧).

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٦٦٩).

(٣) وهو موسى بنُ وَرْدان راوي الأثر عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ١٧٠).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧١٣).

❋ ورَوىٰ عكرمةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «سمعتُ القاسمَ بنَ محمدٍ، وسالمَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ يلعنان القدريَّةَ الذين يُكذِّبون بقَدَرِ اللهِ حتَّىٰ يؤمنوا بخيرِه وشرِّه»(١).

❋ وعن مجاهدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «لا تكونُ مجوسيَّةٌ حتَّىٰ تكونَ قدريَّةٌ ثُمَّ يتزَندقوا، ثُمَّ يتمجَّسوا»(٢).

❋ وعنه أيضًا قال: «القدريَّةُ مجوسُ هذه الأُمَّةِ ويهودُها؛ فإنْ مَرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٣).

❋ وعن ابنِ شهابٍ الزُّهريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «الإيمانُ بالقَدَرِ نظامُ التوحيدِ، فمَنْ وحَّدَ ولم يُؤمنْ بالقَدَرِ كان ذلك ناقضًا لتوحيدِه»(٤).

❋ وعن ميمونِ بنِ مِهرانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ثلاثٌ ارفضوهنَّ: سبُّ أصحابِ محمدٍ ﷺ، والنَّظرُ في النُّجومِ، والنَّظرُ في القَدَرِ»(٥).

❋ وعن أيوبَ السِّختيانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: « قال لي أبو قِلابةَ: يا أيوبُ، اضبطْ عنِّي أربعًا: لا تقولَنَّ في القرآنِ برأيك، وإيَّاك والقَدَرَ، وإذا ذُكِرَ أصحابُ محمدٍ ﷺ فأمسِكْ، ولا تُمكِّنْ أصحابَ الأهواءِ سمعَك فيغيِّروا قلبَكَ» (٦).

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٣٩١).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٣٣).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٩٠٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٦٠).

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٦٣).

* وعن محمدِ بنِ سيرينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إنْ لم يكُنْ أهلُ القَدَرِ مِنَ الذين يخوضون في آياتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ؛فلا أدري ما هُمْ»(١).

* وعن زيدِ بنِ أَسْلَمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «القَدَرُ قُدْرةُ اللهِ تعالى، فمَنْ كَذَّبَ بالقَدَرِ؛ فقد جَحدَ قُدرةَ اللهِ تعالى»(٢).

* وعن الحسنِ بنِ محمدِ بنِ علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «لا تجالِسوا أهلَ القَدَرِ»(٣).

* وعنه أيضًا أنَّه كان يَنهى عن مجالسةِ مَعبدٍ الجُهنيِّ ويقولُ: «لا تجالِسُوه؛ فإنَّه ضالٌّ مضلٌّ»(٤).

* وعن الحسنِ البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «مَن كَذَّبَ بالقَدَرِ فقد كَفَرَ»(٥).

* وعنه أيضًا قال: «إيَّاكم ومَعبدًا الجهنيَّ؛ فإنَّه ضالٌّ مضلٌّ»(٦).

* وعن طاووسَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «احذروا قولَ مَعبدٍ؛ فإنَّه كان قدريًّا»(٧).

* وعنه أيضًا أنَّه كان يطوفُ بالبيتِ، فلَقِيَهُ مَعْبدٌ، فقال له: «أنت مَعْبدٌ؟»، قال: نعم، فالتفتَ إلى مَن حولَه وكان معه فقال: «هذا مَعبدٌ فأهينوهُ»(٨).

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٣٢).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٨٩٥).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٣٩١).

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٣٩١).

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٨١).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

(٧) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٠٤).

❋ وعن حمَّادِ بنِ زيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «كنتُ مع أيوبَ ويُونسَ وابنِ عوْنٍ وغيرِهم، فمرَّ بهم عمرو بنُ عُبيدٍ[١] فسلَّم عليهم، ووقفَ وقفةً، فما ردُّوا عليه السَّلامَ، ثُمَّ جاز فما ذكروه»[٢].

❋ وعن الإمامِ أحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أبي داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدثنا عبدُ اللهِ بنُ بكرِ بنِ عبدِ اللهِ المُزنـيُّ - وكان عندنا مِن خيارِ النَّاسِ - قال: ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ مِن عمرو، وكنَّا نُحبُّ أنْ نتشبهَ به في حياةِ الحسنِ، قال: فإنِّي لأذْكُرُ أوَّلَ يومٍ تكلَّمَ فيه، فتفرَّقْنا عنه، قال: فما كنتُ أُحبُّ أنْ أُكلِّمَه ...»[٣].

❋ وقال مَعمرُ بنُ راشدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنتُ عند ابنِ طاووسٍ وعنده ابنٌ له، إذ أتاه رجلٌ يقالُ له صالحٌ، يتكلَّمُ في القَدَرِ، فتكلَّم بشيءٍ منه، فأَدخل ابنُ طاووسٍ إِصبعيه في أُذنيه، وقال لابنِه: أَدخِلْ أصابعَك في أُذنيك واشددْ؛ فلا تسمعْ مِن قولِه شيئًا؛ فإنَّ القلبَ ضعيفٌ»[٤].

❋ وعن الليثِ بنِ سعدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال في المُكذِّبِ بالقَدَرِ: «ما هو بأهلٍ أنْ يُعادَ في مرضِه، ولا يُرغَّبَ في شهودِ جنازَتِه، ولا تُجابَ دعوتُه»[٥].

---

(١) عمرو بنُ عبيدٍ البصريُّ المعتزليُّ القدريُّ أبو عثمانَ، كبيرُ المعتزلةِ وأحدُ شيوخها، والدعاة إليها، وقد سُمي المعتزلة نسبةً لاعتزاله حلَقةَ الحسن البصريِّ، مات سنة ١٤٣للهجرة.

انظر: بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٣٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم: (٢١٠١٦).

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٩١٥).

❋ وعن أبي داودَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعتُ أحمدَ [ابنَ حنبلٍ] سُئِل عن القَدَريِّ يُجادَلُ، قال: «ما يعجبني»، قال: لا يَدعُني؟ قال : «ذلك أحرىٰ ألا تكلِّمه إذا كان صاحبَ جدالٍ»(١).

❋ وعن عبدِ اللهِ ابنِ الإمامِ أحمدَ رحمهما اللهُ قال: سمعتُ أبي يقولُ: «لا يُصلىٰ خلفَ القَدَريَّةِ، والمعتزلةِ، والجهميَّةِ»، وعنه أيضًا قال: سألتُ أبي مرةً أخرىٰ عن الصَّلاةِ خلفَ القدريِّ، فقال: «إنْ كان ممَّن يُخاصِم فيه، ويدعو إليه، فلا نصلِّي خلفَه»(٢).

❋ وعن مؤمَّلِ بنِ إسماعيلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه كان يقولُ في غيرِ مجلسٍ يُقبِلُ علينا: «أُحَرِّج علىٰ كُلِّ مبتدعٍ: جهميٍّ، أو رافضيٍّ(٣)، أو قدريٍّ، أو مُرجئٍ سَمِعَ منِّي، واللهِ لو عرفتُكم لم أحدِّثْكم» ، وعن الفضيلِ بنِ عياضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «مَن جلس مع صاحبِ بدعةٍ فاحذرهُ، ومَن جلس مع صاحبِ بدعةٍ لم يُعطَ الحكمةَ، وأحبُّ أنْ يكونَ بيني وبين صاحبِ بدعةٍ حصنٌ مِن حديدٍ، آكلُ عند اليهوديِّ والنصرانـيِّ أَحَبُّ إليَّ مِن أن آكلَ عند صاحبِ بدعةٍ»(٤).

---

(١) مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود السجستاني (ص: ٣٦٣).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ٣٨٤).

(٣) طائفةٌ مِن طوائفِ أهلِ البدعِ والأهواءِ، سُميتْ بذلك؛ لأنَّهم رَفضوا زيدَ بنَ عليِّ بنِ الحسينِ ابنِ علي بنِ أبي طالبٍ لَمَّا خَرَجَ بالكوفةِ أيام هشام بن عبد الملك و أظهر الثناءَ علىٰ أبي بكر وعمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والترضي عنهما.

انظر : مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري(ص١٦)، ومنهاج السنة لشيخ الإسلام (١/ ٣٥).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٠٦).

* ولما سُئِلَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حُكمِ مَن قال بالقَدَرِ، أجاب: إنَّه إذا لم يُقِرَّ بعِلمِ اللهِ، وزعمَ أنَّه لم يَكُنْ له علمٌ حتَّى خلقَه، فهو كافرٌ، وإنَّ مَن جَحَدَ العِلمَ يُستتابُ، فإنْ تاب وإلَّا قُتِلَ»(١).

* وعن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه استَفتى أبا سُهيلِ بنَ مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيك في هؤلاء القدريَّةِ؟ فقال: «رأيي أنْ تستتيبَهم، فإنْ قبلُوا وإلَا عرضتَهم على السَّيفِ»، فقال عمرُ بنُ عبد العزيز: «وذلك رأيي»، وقال مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذلك رأيي»(٢).

وقد عَقَدَ الإمامُ اللالكائيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِه: «أصولُ اعتقادِ أهلِ السُّنَّةِ» فصلًا في حُكمِهم، قال: «سياقُ ما رُوِيَ مِنَ المأثورِ في كُفْرِ القدريَّةِ وقتلِهم، ومَن رأى استتابتَهم، ومن لم يَرَ»، **ومِمَّا ذكره فيه:**

- أنَّ ابنَ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كلامُ القدريَّةِ كُفْرٌ».

- وأنَّ ابنَ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لَعَنَهُم، وتبرَّأ منهم، وعقَّبَ اللالكائيُّ بقولِه: «ولا يجوزُ على ابنِ عمرَ أنْ يتبرَّأ مِنَ المسلمين».

- وعن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال لمَن أنكر القَدَرَ فأقرَّ به: «واللهِ لو قلتَ غيرَ هذا، لضربتُ الذي فيه عيناكَ»(٣).

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ١٠٢)، والخلال في السُّنَّة(٣/ ٥٢٩) ، واللفظ له، أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعتُ أبي وسأله عليُّ بنُ الجهم عمَّن قال بالقدر يكون كافرًا؟ فقال أبي: إذا جَحد العلمَ، إذا قال اللهُ جلَّ وعزَّ لم يكن عالمًا حتى خَلَقَ عِلمًا فَعَلِمَ، فَجَحَدَ علمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كافرٌ، قال: وسمعتُ أبي يقولُ: إذا قال الرَّجلُ: العِلمُ مخلوقٌ فهو كافرٌ؛ لأنَّه يَزْعُمُ أنَّه لم يكن له عِلْمٌ حتَّى خَلَقَه.

(٢)أخرجه مالك في الموطأ رقم: (٢٦٢١).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٨١).

- وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا قال: «لو بَرزتْ لي القدريَّةُ في صعيدٍ واحدٍ، فلم يرجِعوا، لضربْتُ أعناقَهم»[١].

ثُمَّ قال اللالكائيُّ: ومِنَ التَّابعين: عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ونافعِ بن مالك أنهما قالا: «يُستتابون، فإنْ تابوا وإلا قُتِلوا».

ومِنَ الفقهاءِ: عن مالكِ بنِ أنسٍ، والأوزاعيِّ، وعُبيدِ اللهِ بنِ الحسنِ العنبريِّ أنهم قالوا: «يُستتابون، فإنْ تابوا وإلا قُتِلوا».

ثُمَّ ذَكَرَ اللالكائيُّ عن: سَعيدِ بنِ جبيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: «القَدَريَّةُ يهودٌ»[٢].

- وعن الشَّعبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: «القَدَريَّةُ نصارىٰ».

- وعن نافعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مولىٰ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «القدريَّةُ يُقتَلون»[٣].

- وعن المازنـيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّه نَقَلَ عن الشافعيِّ أنَّه كفَّرَهم.

- وعن إبراهيمَ بنِ طَهمانَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: «القدريَّةُ كُفَّارٌ».

- وعن الإمامِ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ مثلَ قولِ مالكٍ[٤].

يقولُ الإمامُ البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد مضتِ الصَّحابةُ والتَّابعون وأتباعُهم وعلماءُ السُّنَّةِ علىٰ هذا مُجْمِعين مُتَّفقين علىٰ مُعاداةِ أهلِ البدعةِ ومهاجَرتِهم، قال ابنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في أهلِ القَدَرِ: «أخْبِرْهُم أنِّي بريءٌ منهم، وأنَّهم مِنِّي بُرآءُ».

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٨٣).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٦٠).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٦٠-٧٦١).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٨٢).

وقال أبو قِلابةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تُجالِسوا أصحابَ الأهواءِ، أو قال: أصحابَ الخُصوماتِ؛ فإنِّي لا آمَنُ أنْ يغمِسوكم في ضلالتِهم ويُلبِّسوا عليكم بعضَ ما تعرِفون».

وقال رجلٌ مِن أهلِ البدعِ لأيوبَ السِّختيانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا بكرٍ، أسألُكَ عن كلمةٍ فولَّىٰ وهو يقولُ بيدِه:«ولا نصف كلمةٍ»(١).

وقال مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِئْسَ القومُ أهلُ الأهواءِ، لا نُسلِّمُ عليهم».

ثُمَّ قال البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الهُجرانُ والتَّبرِّي والمعاداةُ في أهلِ البدعِ والمُخالفين في الأصولِ...»(٢).

ويقولُ الإمامُ الطحاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلُّ شيءٍ يَجري بتقديرِه ومشيئتِه، ومشيئتُه تَنفُذُ، لا مشيئةَ للعِبادِ إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأْ لم يَكُنْ، يهدي مَن يشاءُ ويَعصِمُ ويعافي فَضلًا، ويُضِلُّ مَن يشاءُ ويَخْذُلُ ويَبْتلي عدلًا، وكلُّهم يتقلَّبون في مشيئتِه بين فضلِه وعدلِه، وهو مُتعالٍ عنِ الأضدادِ والأندادِ، لا رادَّ لقضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأمرِه، آمنَّا بذلك كُلِّه، وأيقنَّا أنَّ كُلًّا مِن عندِه»(٣).

وقال أيضًا: «وقد عَلِمَ اللهُ تعالىٰ فيما لم يَزَلْ عددَ مَن يَدخلُ الجنَّةَ، وعددَ مَن يَدخلُ النَّارَ، جملةً واحدةً، فلا يزدادُ في ذلك العددِ ولا يُنقَصُ منه، وكذلك أفعالُهم فيما عَلِمَ منهم أنْ يفعلوه، وكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له، والأعمالُ بالخواتيمِ، والسَّعيدُ مَن سَعِدَ بقضاءِ اللهِ، والشَّقيُّ مَن شَقِيَ بقضاءِ اللهِ.

وأصلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تعالىٰ في خَلْقِه، لم يَطَّلِعْ علىٰ ذلك مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ

---

(١) شرح السُّنَّة للبغوي (١/ ٢٢٧).

(٢) شرح السُّنَّة للبغوي (١/ ٢٢٩).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص: ٤).

مُرسَلٌ، والتَّعمُّقُ والنَّظرُ في ذلك ذريعةُ الخذلانِ، وسُلَّمُ الحِرمانِ، ودرجةُ الطُّغيانِ، فالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِن ذلك نَظرًا، وفِكْرًا، ووسْوسَةً.

فإنَّ اللهَ تعالىٰ طَوىٰ عِلْمَ القَدَرِ عن أنامِه، ونهاهم عن مَرامِه، كما قال تعالىٰ في كتابِه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، فمَن سأل: (لِمَ فَعَلَ؟)، فقد رَدَّ حُكمَ الكتابِ، ومَن رَدَّ حُكمَ الكتابِ كان مِنَ الكافرين»[(١)].

وقال أيضًا: «وما أخطأَ العبدَ لم يكنْ ليصيبَه، وما أصابه لم يكنْ ليُخطئَه، وعلىٰ العبدِ أنْ يَعلمَ أنَّ اللهَ قد سَبَقَ علْمُه في كُلِّ كائنٍ مِن خَلْقِه، فقَدَّر ذلك تقديرًا مُحْكمًا مُبْرَمًا، ليس فيه ناقِضٌ، ولا مُعقِّبٌ، ولا مُزيلٌ، ولا مُغيِّرٌ، ولا ناقِصٌ، ولا زائِدٌ مِن خَلْقِه في سماواتِه وأرضِه، وذلك مِن عَقْدِ الإيمانِ، وأصولِ المعرفةِ والاعترافِ بتوحيدِ اللهِ تعالىٰ وربوبيَّتِه، كما قال تعالىٰ في كتابِه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] ،وقال تعالىٰ : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، فويلٌ لمن صار للهِ تعالىٰ في القَدَرِ خصيمًا، وأَحْضَرَ للنَّظرِ فيه قلبًا سقيمًا، لقد التمس بوهمِه في فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كتيمًا، وعاد بما قال فيه أفَّاكًا أثيمًا»[(٢)].

وقال أيضًا: «وكلٌّ يَعملُ لِما قد فُرِّغَ له، وصار إلىٰ ما خُلِقَ له، والخيرُ والشرُّ مقدران علىٰ العِبادِ»[(٣)].

وقال أيضًا: «وأفعالُ العِبادِ خَلْقُ اللهِ، وكسبٌ مِنَ العِبادِ»[(٤)].

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص:٧).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص:٨).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص :١٢).

(٤) العقيدة الطحاوية (ص :١٣).

الخاتمة

بعد هذا الجهدِ المتواضعِ في هذا البابِ مِن أبوابِ العِلْمِ والإيمانِ أُسطِّرُ هذه الخاتمةَ بذكرِ أهمِّ النتائجِ والفوائدِ التي مِن أهمِّها وأعظمِها إشغالُ الأوقاتِ بذِكْرِ اللهِ تعالىٰ، وتعظيمِه في ربوبيَّتِه وأسمائِه وصفاتِه، ومِن ثَمَّ في أُلوهيَّتِه عَزَّوَجَلَّ، والتَّذَلُّلُ والخضوعُ لإرادتِه وحكمتِه وقضائِه.

ثمَّ إنَّ الإيمانَ الحقَّ في هذا البابِ هو رأسُ مالِ العَبْدِ في حُسْنِ ظنِّه باللهِ تعالىٰ، والاعتقادِ بأنَّ أمرَه كلَّه له خيرٌ، فيعبدُ اللهَ تعالىٰ بالشُّكْرِ والحمدِ والثناءِ علىٰ جميعِ أحوالِه.

ثُمَّ إنَّه أيضًا هو القاعدةُ المتينةُ التي يرتكزُ عليها العبدُ في الاطمئنانِ إلىٰ جَنْبِ اللهِ تعالىٰ، فلا يَجْزَعُ لحادثةِ الليالي، ولا يطيرُ فَرَحًا لما آتاه اللهُ تعالىٰ مُدْرِكًا لحكمةِ الابتلاءِ والامتحانِ مما يَحمِلُه علىٰ أداءِ حقِّ اللهِ تعالىٰ علىٰ الدَّوامِ واختلافِ الأحوالِ.

ثُمَّ هو أيضًا الأصلُ الذي يقومُ عليه الرِّضا بقضاءِ اللهِ تعالىٰ وقَدَرِه، وهذا مَقامُ الكُمَّلِ في علاقتِهم مع مولاهم جَلَّوَعَلَا، فأكْرِمْ بها منزلةً ومَقامًا تحملُ صاحبَها علىٰ الدُّخولِ في وَلايةِ اللهِ تعالىٰ، ونَيْلِ أشرفِ وأعظمِ ما يتنافسُ فيه المتنافسون، ويتسابقُ فيه المتسابقون.

ثُمَّ أيضًا مِن فوائدِه: إدراكُ أهميَّةِ ما كان عليه الصَّحابةُ الكِرامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسلامةِ منهجِهم في أبوابِ الدِّينِ والاعتقادِ، وأنَّهم يُمثِّلون الوسطيَّةَ في الأُمَّةِ، والأخذِ بجميعِ نُصوصِ البابِ وإعمالِها، والبراءةِ مِن إهمالِ شيءٍ منها، والبراءةِ مِنَ الأهواءِ، والاعتدادِ بالأقوالِ والآراءِ، والتَّبعيَّةِ لغيرِ وحيِ اللهِ تعالىٰ.

والحديثُ في ثمراتِ هذا العِلم كثير جدًّا، أسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بأسمائِه الحُسْنىٰ وصفاتِه العُلا أنْ يُعلِّمَنا ما ينفعُنا، وأنْ ينفعَنا بما علَّمنا، فإنَّه واللهِ عبادةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقوَّةٌ في الإيمانِ واليقينِ، وثباتٌ عند البلاءِ والأذىٰ والمكروهِ، وأصلُ الصَّبرِ والاحتسابِ والطُّمأنينةِ في الحياةِ، وجِماعُ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ تعالىٰ والاعتمادِ عليه.

والحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللهُ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارك علىٰ سيدِنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وأصحابِه الطَّيبين الطَّاهرين ومَنْ تبعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ.

مكتب إتقان

للتحقيق والدراسات العلمية